

إيران فوق بركان
محمد حسنين هيكل
كتاب اليوم

M. H. Haykal

إيران فوق بركان

محمد حسنين هيكل

ثمة حقيقة رهيبة قابلتها فى كل عواصم الشرق الاوسط !
قابلتها فى طهران كما قابلتها فى دمشق ، وطالعتنى فى القاهرة كما طالعتنى فى بغداد ، ورايتها فى بيروت كما رايتها فى عمان
تلك الحقيقة هى ان مشاكل هذا الجزء من العالم واحدة
فمهما تعرجت خطوط حدوده، ومهما تعددت اسماء عواصمه ومهما اختلفت طبائع اهله ولهجاتهم ، مهما يكن من امر ذلك كله ، فانه يخضع لنفس المؤثرات ، وتتقاذفه نفس التيارات ، وتمزقه نفس المؤامرات ، وتفترسه نفس القوى !
بل لقد خيل الى اخيرا وانا فى طهران استمع الى اسباب مقتل رزم اراه ، اننى فى القاهرة ، اعيش فى نفس الظروف التى عشت فيها ايام مقتل النقراشى ، او اننى فى دمشق ، استمع الى سامى الحناوى يشرح لى لماذا قتل حسنى الزعيم !
نفس الحيرة والتخبط والارتباك ، ونفس الشكوك والآراء والاوهام ، ونفس القلق والكبت والغليان !
وبعد . . .
فلقد عشت شهرا فى ايران ، فترة الاستعداد لزمتها الطاحنة على اثر مقتل رئيس وزرائها الاسبق ـ الجنرال رزم آراه ـ فى الاسبوع الثانى من شهر مارس سنة ١٩٥١
ولقد ذرعت ايران من الشمال الى الجنوب ، من جولفا على الحدود الروسية الى عبدان على الخليج الفارسى ، وقضيت اياما طويلة فى ظلمات طهران وسراديبها الغامضة
وهذا الكتاب ليس الا تحقيقا صحفيا سريعا لما رأته عيناى وسمعته اذناى فى تلك الايام العجيبة المثيرة
وما اكثر الاحداث التى وقعت ولم تلمحها عيناى
وما اكثر الاسرار التى قيلت ولم تلتقطها اذناى !

محمد حسنين هيكل





الفصل الأول

« تصرفوا بقسوة لكي لا يقول الناس انكم متخلفون ! »

(شكسبير)

السلام في طهران ـ هو العزيز ـ رجلهم المقدس ـ الاب والابن ـ رجل الحرب ورجل السياسة ـ جنازة في مسجد الشاه ـ زنده باد اسلام ـ دم على المصحف ـ عبد الله .. خادم الله ـ رصاصات مباركة ـ الشاه لا يصدق ـ الجثة السعيدة ـ مورده باد ترومان ـ يحيا تأميم البترول .

١ ـ طهران في احضان كابوس

اعصـــابها من حديد هذه العاصمة الايرانية المترامية تحت جبل شمران !

لقد كانت انحاء العالم تتجاوب ـ في قلق ورهبـــة ـ باصداء الحـوادث التي كانت مسرحا لها في الساعات الاخيرة ، ومع ذلك فها هي ذي طهران ـ بتقسها ـ تبدو للوهلة الاولى كانهـــا واحة سعيدة خضراء بعيدة عن المشاكل والقلاقل ! ..

لقد بدا مطارها الكبير ، مطار مهرباد ـ اي قرية الشمس ـ ساكنا هادئا يفوح بعبير الزهور المتألقة في شمس الاصيل .

وكان الطريق من مطار مهرباد الى قلب طهران ينســاب بين التلال والوهاد في امن وسلام ..

وكانت شــــوارع العاصمة الايرانية تمرح بالحركة السعيدة المطمئنة ..

وفجـــاة واسيارة تقطع بنا « خيابان شاه » ـ شارع الشاه ـ قال سيفتون ديلمر كبير مـراسلي جـــريدة الديلي اكـسبريس الانجليزية :

ـ عجيب .. الهذا جئنا هنا ؟

واشـــار الى الشارع المتألق بالانوار واستطرد :

ـ لا اظن ان صحفنا ارسلتنا الى طهران لكي نرســل لها قصائد شعر عن السلام والهدوء فيها !! ..

ونظـر الى ديلمر متحمسا ، وكنت لا ازال ارقب موكب السعداء السائرين في « خيابان شاه » في تلك الساعة من المساء .

وقال ديلمر صاخبا :

•

ـ مـــاذا ؟ الا ترد ؟ .. الا يدهشك هذا السلام ، هذا بلد قتل رئيس وزرائه منذ ساعات ، واندفعت المطـــامع والمؤامرات والدســـائس تفترس مستقبل شعبه من الداخل ومن الخارج ، والعالم كله يضع يده على قلبـه رهبة مما سوف يحدث في طهران وتبادر جرائدنا فترسلنا الى هنا .. انت من القاهرة وانا من لندن فماذا ترى ؟ .

فقلت له :

ـ هـــــذا السلام .. وهذا الهدوء ! ..

وازدادت ثورة ديلمر ، واطلق زفرة يائسة وهو يقول :

ـ انا شخصيا اكاد اجن . .

والتفت فجـــاة الى سائق السيارة موجها اليه الحديث :

ـ الى اى حد حزن النـاس على وفاة الجنرال رزم آراه ؟ .

وفتح السائق زجاج نافذته ، والتفت الى ديلمـــر ، وقلب شفتيـــه ، ثم اتجه الى النافذة المفتوحة وهـو يردد اسم « رزم آراه » .. ثم بصـق على ارض الشارع !! ..

وكانت المفاجـــاة اكثر مما تحتملها اعصـاب ديلمر بجسده البـــدين ، ومزاجه المتقلب ، وانفعالاته المتلاحقة ، فالتفت الى قائلا في غضب :

ـ هل رأيت ماذا فعل هـذا المجنون ؟ .. لقـــد سألته عن رئيس وزراء بلاده الذى قتـــل اليـــــوم فكانت اجابته هذه « البصقة » التى قذفها ببساطة الى عرض الطريق ! ..

وكانت هناك مفاجـاة ثانية ، تنتظـر اعصـــاب ديلمر ، على رصيف الشـــــارع امام فندق نادر نادرى فى خيابان شاه

لقد وقف بائع الصحف الذى يفـــرش جـــرائده على الارض امام الفندق ، يصيح باعلى صوته مناديا اسماءها ، وتوقفنا

ونحن ننزل من السيارة وندخل الفندق ـ لنلقى نظرة عابرة على المجموعة العجيبة المرصوصة على الارض من مجلة « اصفهان » .

وكانت المفاجأة . .

فى واجهة المجلة رسم يمثل العلم البريطانى ، عليه صورة الملك جورج السادس ملك الانجليز ، ووراء صورة الملك ، صور اخرى لتشرشل وبيفن ،وقد بدا الجنرال رزم آراء ـ رئيس الوزراء الذى قتل ـ فى الصورة منحنيا فى اجلال يقبل العلم بينما امتدت يد ملاك من السماء قابضة على مسدس ينطلق منه الرصاص الى راس الجنرال الذى تفجر منه الدم ، وفوق الصورة عنوان كبير كتب فيه : « القبلة الاخيرة » !!

ووضع ديلمر يده على راسه كانما يمنعه من ان ينفجر ، وصاح :

ـ يا اله السموات !

وكانت هناك ـ على اى حال ـ مفاجآت كثيرة اخرى تنتظر « ديلمر » ، وتنتظرنا جميعا فى تلك الليلة الهائلة فى طهران . .

الانباء تسرى فى آفاقها كشهب الليل المنطلقة فى الظلمات

وصوت الرصاصات الاربع التى اردت الجنرال رزم اراء ـ او الرجل القوى كما كانوا يسمونه فى ايران وخارج ايران ـ مازال يدوى فى الاسماع

ونوافذ القصر الملكي ـ قصر المرمر نفسه ومجموعة القصور المحيطة به ـ وكذلك نوافذ وزارات الحكومة ، ودور السفارات والمفوضيات الاجنبية ، كانت مضاءة حتى تلك الساعة المتاخرة من الليل ، وكان رجالها المسئولون جميعا وراء مكاتبهم ينتظرون التطورات الجديدة . .

ومواكب الاشاعات تنساب فى خفة الاشباح فتداعب المقاعد تحت اصحابها ثم تهزها بعنف وقوة !

وكان الشاب الذى قتل رئيس الوزراء منذ ساعات قد قال للمحققين :

– انى متعب فاتركونى برهة لاستريح ! . .

وتركوه فاذا هو يستغرق فى النوم – هادئا كاطياف الاحلام ! – لمدة خمس ساعات ، ثم يستيقظ من النوم ليلقى تحت اقدام المحققين بقنابل تنفجر واحدة بعد الاخرى . .

« نعم قتلت رزم آراه »

« لم يكن لى شركاء فى شرف قتل الخائن ! »

« لقد امرتنى (فدائيان اسلام) ان اقتله فنفذت الامر »

وفى نفس الوقت – خارج غرفة التحقيق – كانت هناك قنابل اخرى تنفجر ، ويتجاوب صداها مع ما حدث داخل غرفة التحقيق . . .

خرج «نواب صفاوى» او «نافاب صافافى» – كما ينطقونها فى ايران – ببيان وقعه بوصفه الرئيس التنفيذى لجمعية «فدائيان اسلام» – الدينية الارهابية – يقول فيه بعد مقدمة قصيرة ما نصه :

« ان البطل الذى قتل رزم آراه الخائن ادى واجبه »

وبعدها بقليل اصدر آية الله كاشانى – الزعيم الروحى الكبير فى ايران بيانا ثانيا يقول فيه :

« ان الرصاصات التى اردت رزم آراه قتيلا ، كانت رصاصات مباركة ، مصحوبة بتوفيق الله .

لقد كسبنا معركة البترول ، وسيؤمم البترول على رغم انف الخائن المضرج بدمه »

ثم انفجرت القنبلة الثالثة – خارج غرفة التحقيق – فى شكل بيان اصدرت به جريدة اصناف ملحقا خاصا .

والبيان الجديد موجه الى صاحب الجلالة الشاه محمد رضا بهلوى وكانت لهجته تجديداعجيبا فى أساليب مخاطبة الملوك بدا البيان على النحو التالى :

« هو العزيز » (اى الله وحده العزيز)

ثم عبارة : « بسر بهلوى » (اى يا ابن بهلوى ..)

ثم ، بالحرف الواحد :

« يجب ان تعتذر لخليل طهمسبى – قاتل رزم آراه – عما لحقه من عناء من جراء القبض عليه – ! – ويجب ان تطلق سراحه بشرف وكرامة قبل ان تمر ثلاثة ايام ، والا فان جميع المسئولين عن القبض عليه ، سينزل بهم نفس العقاب الذى انزل « برزم آراه »

يجب أن تطلق سراح رجلنا المقدس خلال هذه الأيام الثلاثة ان لم تفعل هذا فانت تقترب من الجحيم خطوة فخطوة ! »

وانطفأت الانوار فى طهران مع الفجر .

واستلقت العاصمة المتعبة المرهقة ، فى أحضان كابوس رهيب ، تحاول ان تختلس غمضات تساعدها على الغد

وكانت جثة رزم آراه التى مزقها الرصاص ، لاتزال – خلال هذا كله – موسدة على سرير فى مستشفى ابن سيناء ، ملفوفة بالعلم الايرانى ، وحولها اربعة ضباط فى نوبة حراسة عسكرية !! ..

٢ – كان رزم آراه يريد اعتزال السياسة

وكانت مفاجآت تلك الليلة فى طهران تبدو مثيرة مخيفة على وهج الرصاصات الاربع التى ومضت فى آصباح

وصرعت «رزم آراء» قتيلا في ساحة مسجد الشاه ! .

كان «رزم آراء» قد استيقظ من نومه في الساعة السادسة صباحا ..

وقالت لي زوجته ـ فيما بعد ـ وكنت قد أصبحت ارملة حين قابلتها في بيتها ـ قالت لي بعد ان ظلت خارج الغرفة ربع ساعة تجاهد ثأرها حتى تدخل الى ذلك الصحفي القادم من مصر وامسكت رأسها مسيطرة على الدموع :

« قد قام من نومه على صوت ابنه الصغير ، وكان مدللا يجري في انحاء البيت ويملأه كلاما .. وصياحا ..

وكان زوجي يحب هذا الطفل ويؤثره على اخوته

وفتح زوجي باب غرفة نومه ، ونادى الطفل الصغير ،

ثم اختبأ الطفلان خلف لعبتهما المفضلة .. ابى الطفل ان يرد وتكسر ملامح وجهه معلنا السماع ـ كما كان يتصور ـ وابوه ـ زوجي ـ الجنرال ـ يتظاهر بالخوف والهلع فقد صاح الطفل شاعرا بالانتصار ، وانطلق صوته في البيت صائحا .

ـ « هوه .. هوه »

ثم تحشرج اصداء هذا الصوت ، بضحكات الأب والابن معا

وقالت الام ، الزوجة ، ارملة رئيس الوزراء القتيل :

ـ هكذا بدأ اليوم في بيتي في ذلك الصباح المشئوم

ولم تكمل عبارتها فقد نهضت مجهشة ، وانطلقت خارجة من الغرفة ، وقال لي شقيقها ـ وكان يحضر مقابلتنا ـ بصوت يختلج تأثرا :

ـ ان اختي تكره ان يراها احد وهي تبكي :

وغادر الجنرال رزم آراء بيته في الساعة التاسعة والنصف

صباحا ، صحبها الى منزل والده بروده ، ورزم آراء الاب شيخ عجوز تعرب من المائة سنة في خطوات واهنة ويرقد في فراشه بأمر الاطباء لا يغادره ابدا

وجلس رئيس الوزراء على حافة فراش ابيه يتحدث معه

ولقد روى لي رزم آراء الابن والد الجنرال اعمل — فيما بعد تفصيلات الحديث المرير الذي دار بينه وبين ابيه في ذلك الصباح الموعود !

كانت السنون قد نهشت حنجرة صوته ، وكان الأسى قد احرق ما تبقى من اوتارها وخرجت الكلمات محطمة من فم الشيخ المتهدم :

« الغريب أني في صباح ذلك اليوم ، الذي زارني فيه ، قلت له

« يا علي ، انت مثلي رجل حرب لا تعرف كيف تلف وكيف تداور ، وسياسة ايران اليوم ليس فيها الا لف ودوران ، وانا ابوك وانا الذي ربيتك سواء في البيت او في حياتك العسكرية ، وانا اعرف ان الرياء ليس من طبائعك ، والرياء عدة السياسي ، فلماذا لا تترك رئاسة الوزارة لمن يعرفون كيف يدورون وكيف يلفون ! » .

ومضى رزم آراء الاب العجوز ، وقد بدا صوته المرتعش كذبالة مصباح فرغ منه الزيت :

« ولا اعرف ان ابني هذا مقتنعا بكلامي فقد قال لي

« اقسم لك يا ابي اني لا اريد ان ابقى في رئاسة الوزارة يوما واحدا اكثر مما ينبغي ، وانا انتظر حتى تمر ازمة البترول وبعدها حدد الموقف ثم استخلص الميدان » »

وخرج الجنرال رزم آراء من بيت ابيه الى رئاسة الوزارة في قصر جولستان ..

وقال لي مدير مكتبه في رئاسة الوزارة فيما بعد :
ـ لقد وصل الى مكتبه في الساعة التاسعة صباحا
وكان مكتبه في ذلك الصباح الاسود مليئا بالملفات والمشاكل ،
ولما استقر على مقعده ناداني ليقول لي :
ـ اني اريد ثلاث ساعات هادئة هذا الصباح ، لأن امامي
عدة امور يجب ان ابت فيها برأيي وعليك ان تحدد لك طريقة
في ابعاد الذين يريدون مقابلتي اليوم ، تصرف معهم كما تريد ،
ولكن لا تسبب لي مشكلات مع احد
ومضى مدير مكتبه يروي آراءه حول لي
« وقلت له : ولكن يا سيدي الرئيس انك لن تستطيع ان
تبقى في مكتبك هذه الساعات الثلاث ، ان عليك ان تحضر جنازة
في الساعة العاشرة والنصف
وقال الجنرال :
ـ آه .. كنت نسيت هذه الجنازة .. في اي مسجد هي ؟
قلت له
ـ في مسجد الشاه
واكب الجنرال على مكتبه يتصفح احد الملفات وهو يردد
دون وعي :
ـ « في مسجد الشاه .. في مسجد الشاه »
ومضى مدير مكتبه يروي احداث حديثه
« واضطربت في الساعة العاشرة واسرعت ان اطرق باب غرفة
الجنرال وادخل ، ورفع رأسه ثم بادرني
ـ اعرف .. اعرف ، تريد ان تذكرني بموعد الجنازة في
مسجد الشاه
وهززت رأسي وخرجت ، واكب الجنرال على الورق من

جديد ، ومرت الدقائق واصبحت الساعة العاشرة والنصف ، الا ان الحجارة بدأت فعلا في مسجد [illegible] ورئيس الوزراء ما زال هنا لم يغادر مكتبه في قصر جولستان .

وطرق الباب مرة ثانية [illegible] أقفل الجنرال ملفا كان يدرسه وهم واقفا وهو يقول :

— لك حق .. سوف اذهب حالا ..

ونظر في ساعته واستطرد [illegible] لقد بدأت الجنازة فعلا !

وسكت مدير مكتب رزم آرا [illegible] وكان يتصور [illegible] داخلا في غمضة [illegible]

— لم يكن يدري انها ستكون [illegible] !

ولقد روى لي « فريدون محمدي » الحارس الخاص للجنرال رزم آرا بعض [illegible] في مسجد [illegible] في الدقائق التاليه

وكان « فريدون محمدي » حتى كتابة [illegible] لا يزال راقدا في فراش مرضه في مستشفى طهران [illegible] من [illegible] الى ظهره من [illegible] مجهول هو [illegible] رزم آرا في مسجد [illegible]

وبدأ « فريدون محمدي » قصته بالحديث عن نفسه

« لقد كنت مع الجنرال في [illegible] ، وكنت انا [illegible] من [illegible] حراسته [illegible] رئيس [illegible] اركان حرب الجيش [illegible] الملابس العسكرية ثم خلعها وتبعناه الى قصر جولستان .

ووصل فريدون الى قصته [illegible]

« كانت [illegible] في مسجد [illegible] لأحد كبار الائمة [illegible] ، وراى الجنرال [illegible] رسميا في جنازته .

ووصل – ونحن وراءه – الى مسجد الشاه مبكرا ربع ساعة عن موعد بدء الجنازة

وكان المسجد غاصا بالناس ، وتقدمت امام الجنرال اذرع الجماهير المحتشدة واتسع طريقا رئيس الوزراء ، ودخلنا الباب في سلام ثم اجتزناه الى الساحة الداخلية للمسجد ؛ وكان الجنرال متعجلا الى درجة انه كان وراني مباشرة، وسمعته اكثر من مرة يهمس

– اسرع .. اسرع والا فاتنا الصلاة على الجثمان !

وفجأة سمعت دويا،وكانت دلالته واضحة لسمعي ذهني كالبرق

– هذا طلق نارى !

ودوى طلق آخر ، وثالث ، ورابع ، ثم انبعث صوت اجش يقول :

– زنده باد اسلام ، زنده باد اسلام

، اى يحيا الاسلام ... يحيا الاسلام

والتفت فوجدت رئيس الوزراء سقط على الارض، ويداه ممدودتان الى الامام ، وعيناه مفتوحتان عن آخرهما واسنانه كلها ظاهرة من شفتيه المفتوحتين وهو يتمتم بشيء لم اسمعه ..

ووراء هذا المنظر المؤلم ، كان هناك منظر آخر

شاب يمسك في يده مسدسا ، ويحاول ان يشق طريقه هاربا ، بينما رملائي انتزعه من رجال الحرس ، ومعهم وزير الاشغال الذي كان قابعا وراءنا يحاولون الامساك به

ويدخل بعض افراد الجمهور يضربون رجال الحرس ليسهلوا فرار القاتل الذى كان لا يزال يصيح .

– زنده باد اسلام

ويردده وراءه كثيرون من الجماهير

وبدا الناس يعدون حربا لان جماعه من رجال البوليس اندفعوا الى موقعنا يحاصرونه ويعزلون الجمع المحتشد بهراوات المطاط المصمود

وفى نفس اللحظة كنت احاول ان اخرج مسدسى لاساعد فى القبض على القاتل ، ولكن أحد شركائه كان يراقبنى على ما يبدو ، فلم تكد يدى تخرج بالمسدس حتى احسست شيء حاد يغوص فى ظهرى

وادركت انها طعنة خنجر نافذة ، وبدأت اغيب عن الوعى ، وفى ذهنى طنين غريب تختلط فيه الاصوات المتلاحقة التى كانت تملأ جو الساحة الداخلية لمسجد الشاه فى تلك اللحظات :

همهمة الصلاة المنبعثة من الميكروفون وهو ينقل مراسم الجنازة التى كانت قد بدأت داخل المسجد

وحيرة الحركة العجيبة حول جثة الجنرال القتيل الذى كان يشترك فى الجنازة

وصيحات رجال البوليس لطرد الجمهور وحركة فرار الجمهور وصوت القاتل وهو فى قبضة رجال البوليس ، يصيح باعلى صوته :

– زنده باد اسلام ... زنده باد اسلام ...

خليط مخيف من الاصوات ...

وفقدت الوعى !

٢ – الجنة تحت ظلال السيوف !

ولقد كانت تصرفات القاتل بعد ارتكاب الجريمة اكثر غرابة من تصرفاته اثناء ارتكابها ، صاح فى وجه رجال البوليس الذين قبضوا عليه :

ـ انا لا اخاف منكم يا خونه !

ثم اشار الى جثه الجنرال وكانت ماتزال ملقاة على الارض وحولها بركة من الدم :

ـ لقد لحق الخائن برملائه الذين سبقوه الى جهنم !

وصرخ القاتل في رجال البوليس ، وهم يضربون الجمهور المكانف في ساحة المسجد بهراوات المطاط المضغوط :

ـ لو مسستم شعرة واحدة من راس احد اصدقائي فالموت لكم جميعا

ولما دخل مكتب الجنرال محمد دفتري حكمدار بوليس طهران بادره القاتل :

ـ لماذا يضربني رجالك .. لقد خدمت الاسلام

وفتشوا جيوبه وكانت دهشة المفتش أن عثروا على مايلي :

١ ـ كميه من الفحل الاسود المدقوق مفروفه في ورقه صغيرة

٢ ـ نسخة صغيرة من القرآن عليها قطرات من دم قديم

٣ ـ ورقة عليها بضع آيات من القرآن بالحبر الازرق ، وباللغة العربية ، وتحتها ترجمة لها باللغة الفارسيه

٤ ـ ورقة عليها عبارة « الجنة تحت ظلال السيوف » !

وكان اسلوب القاتل شبكة من الالغاز ، وبدا في ردوده على الاسئلة الموجهه اليه كأنه يعني أمورا لا نعرف بحفظها عن ظهر قلب!

سئل عن اسمه فقال

« عبد الله موحدي راستكار »

وسئل عن عائلته فقال :

« ليس لي زوجة ولا ولد ، ومات ابي ولحقته امي »

وسئل عن عنوانه فقال :

« ليس لي مسكن ، وحدة الله واسعه ، وابوابها مفتوحه

للمؤمنين في الليل والنهار ».

وأدرك المحققون انه يضللهم ليكسب وقتا ..

وظلت لعبة القط والفأر بينهم وبينه تدور وتدور حول سؤاله

حتى قال لهم اخيرا :

— هل تريدون اسمي الحقيقي ؟

واستطرد دون ان ينتظر ردهم

— ان اسمي الحقيقي هو خليل طهماسبي

وسألوه في شك : « وعبد الله موحدي راستكار » الذي ذكرته

لنا من قبل على انه اسمك ؟

وقال القاتل : ليس هذا اسمي ، ولكنها صفاتي ...

ثم بدأ يشرح لهم :

« عبد الله ... اي خادم الله »

« موحدي ... اي الموحد بالله »

« راستكار .. اي الذي لا يقول الا الصدق ! »

ثم استطرد في اصرار :

— ان اسمي الحقيقي . مهما كنت قلت لكم خليل طهماسبي

وبعد دقائق كانت كل قوى البوليس في طهران متجهة الى

جمع اكبر ما يمكن جمعه من المعلومات عن شاب يدعى

« خليل طهماسبي »

وبدأت المعلومات ترد تباعا :

« خليل طهماسبي شاب في ثلاثين من عمره يعمل نجار »

« خليل طهماسبي يسكن في غرفة صغيرة في بيت متهدم

وراء مسجد سپاه سالار »

« سبق لادارة بوليس طهران ان حررت محضرا لخليل طهماسبي

لهجمه على بعض رجال البوليس اثناء الانتخابات الاخيرة واتهامه

لهم بالتزوير ، وكان يعمل بأقصى جهده لتأييد ترشيح آية الله كاشاني في إحدى الدوائر الانتخابية في طهران ، واتهم رجال البوليس لجنة الانتخابات بأنهم يحاولون تغيير الأوراق التي تملأ الصناديق حاملة اسم آية الله كاشاني .

« خليل طهماسبي شاب متحمس مهووس ينتمي لجمعية فدائيان اسلام » .

ولم يكن في هذا كله جديد ، لأن طهماسبي نفسه كان داخل غرفة التحقيق يصيح :

« قتلته انحني بأمر فدائيان اسلام » .

وكانت فدائيان اسلام ، خارج غرفة التحقيق ، تهدد في سلسلة من المنشورات بأنها هي التي أمرت طهماسبي بقتل الخائن ، موجهة الى قلبه الرصاصات المباركة المصحوبة بتوفيق الله !

١ ـ شجرة في وجه الأعاصير

وكانت طهران في أسوأ أيامها عاصمة يحكمها الرعب ويسيطر عليها الفزع ، وتطغى فيها طلقات الرصاص على أحكام القانون !

وكان وقع اغتيال رئيس الوزراء صاعقة ، فلقد كان الرجل القوي في ايران ، وفي ثوان صرع الرجل القوي وانتهى

وأصبح من الصعب على كثيرين أن يصدقوا أن الرجل الحديدي قد استحال بسرعة خاطفة الى جثة مضرجة بالدم لا تثير الا الشفقة والرثاء

ولقد نظر جلالة الشاه محمد رضا بهلوي الى موظف القصر الذي أبلغه النبأ وقال :

ـ لا .. لا .. لا أصدق .. لا أصدق ..

ثم تهاوى الشاه على مقعده ذاهلا من المفاجأة والحزن !

وسمعت زوجة رزم آراه النبأ وهي تدخل عيادة طبيب أسنانها

وجنت أسنده الثانية وسبب سيارتها ، وشهدت شوارع طهران زوجة ذلك الذي كان رئيسا للوزراء منذ ثوان قليلة ، تجري حافية القدمين تلطم خدودها وتولول

وقال « جيمس روت » الوكيل المساعد لوزارة الخارجية الأمريكية :

— لقد كان رزم آراه الحصن . بقي وحده في الميدان في مواجهة قوى هائلة ، ولقد صمد أرحل للعواصف قوة شجرة السنديان الشامخة ، ولكن الأعاصير عصفت وتحالفت على الشجرة الشامخة حتى قصمتها وألقت بها حطاما على الأرض !

وكان السيد « خليل فهمي » وزير الدولة في وزارة رزم آراه قد كلف بأمر الشاه لتولي منصب رئيس الوزراء مؤقتا حتى يتم تأليف وزارة جديدة .

ووجد نائب رئيس الوزراء نفسه أمام مشاكل مسبقة

واجتمع المجلس — مجلس الوزراء — تحت رئاسة خليل فهمي لأول مرة ، ليقرر — لآخر مرة — أن يجامل رئيسه القتيل بإعلان الحداد الرسمي يوم مقتله

وردت جمعية فدائيان إسلام على هذا الإعلان ببيان تقول فيه :

« لا حداد اليوم ، بل فرح وسرور . لترفع كل الأعلام ، ولتفتح جميع المتاجر ..

سوف نحاسب كل من يكسر عمله . ونهدم أبواب كل متجر تغلق أبوابه حدادا

لنمض البهجة والحبور مع الناس في الأسواق والشوارع ..

هذا يوم عيد !

وكانت هذه فاتحة مشاكل نائب رئيس الوزراء .. ولكنها لم تكن آخر المشاكل

اخطر رئيس الوزراء ـ بلا مقدمات ـ بأن جميع ائمة المساجد في طهران قد رفضوا أن يشتركوا في جنازة الجنرال رزم آراء ، ورفضوا أن يلقى احد هم ـ كما تقضي التقاليد القديمة ـ كلمة في تأبين القتيل وطلب الرحمة والغفران لروحه !

واستدعى السيد فهيمي، امام مسجد «سباه سالار» ليحاول اقناعه بنفسه ، وخرج الرجل من مكتب نائب رئيس الوزراء مصرا على الرفض كما دخل

وكان السيد فهيمي يروي ما حدث في شبه ذهول :

ـ لقد اضطررت أن أعرض عليه ٢٥ الف تومان ـ أي ثلاثة آلاف جنيه مصري ـ لكي يقبل أن يشترك في الجنازة ولكنه رفض وقال : ان حياته تساوي عنده أكثر من ٢٥ الف تومان . لأن فدائيان اسلام ستقتله اذا اشترك في الجنازة ولا تستطيع الحكومة التي عجزت عن حماية رئيسها القتيل ـ أن تحرس إمام مسجد يدير ظهره كل يوم خمس مرات لآلاف المصلين من المسلمين المؤمنين !!

وكانت المشكلة الثالثة أن « فدائيان اسلام » أذاعت أنها ستبث عيونها حول الذين يشتركون في تشييع جنازة رزم آراء

وكان الجو الذي شيعت فيه جنازة رئيس الوزراء القتيل مثيرا مليئا بالقلق والعصبية ، وقد وصف لي وزير في وزارة رزم آراء شعور مشيعي الجنازة بقوله :

ـ لقد كان أسعدنا واكثرنا اطمئنانا ... الجثة المرقدة داخل النعش !

ثم جاءت المشكلة الكبرى ..

لقد أمر الزعيم الروحي الكبير آية الله كاشاني أن تخرج مظاهرة تطوف شوارع طهران في العصر

ووصف بعض الوزراء مظاهرة كاشاني بأنها عملية ارهاب

وقال بعض الدبلوماسيين انها مجرد مناورة لاستعراض قوة آية الله كاشاني في شوارع طهران .. وتؤكد ما [illegible] من [illegible] سارت [illegible] آراءه وسلوكه بعد عودته .

وكان نبأ هذه المظاهرة قد بلغ الى نائب رئيس الوزراء وهو يسمع خطبة رئيسه [illegible] الى معرضها الاخير ، فعاد بعض الوزراء من الحفلة ليجتمع في خلوة ويبحث مشكلة المظاهرة

وانتهى الاجتماع على ان يحمل السيد فهمي نائب الرئيس الى آية الله كاشاني ، فقصد بيته او على الاصح رجاءه و [illegible] اليه عند اللزوم ، ان يعدل عن هذه المظاهرة او يؤجلها حتى تنتهي الازمة .

واستمع آية الله كاشاني الى طلب نائب رئيس الوزراء [illegible] الى رجائه وتوسله ولكنه رد بانه مصمم على المظاهرة ولن يتزحزح عن تصميمه لاي طلب او رجاء او توسل .. وقال آية الله كاشاني لنائب رئيس الوزراء :

— ان كل ما تستطيع ان تفعله [illegible] هو ان تقضي [illegible]
المظاهرة و [illegible] السلام سوف تسودها الى آخر دقيقة .

وبدأت المظاهرة [illegible] سيطر [illegible] ذلك اليوم مظاهرتين
المظاهرة الاولى [illegible] التي امر بها آية الله كاشاني [illegible]
[illegible] الى [illegible] في الشوارع يهتفون [illegible]
الى الجحيم [illegible] وسقط الاستعمار [illegible] ويحيا باسم [illegible] .
المظاهرة [illegible] التي أمر بها آية الله كاشاني [illegible] عرف

حين صادف رئيس الوزراء ودائه انشقت الارض عنها فجأة بددا في شعوب شوارع طهران حاشدة في صفوفها أكثر من عشرة آلاف شخص في ... حملت كثيرا " اي " الكدحات في الحناجر ، وهي تصرخ لحساب حزب « توده » الشيوعي !

وانتهت المظاهرة لتسلمه العاجلة الى السفارة الامريكية بهتف

« مصدق ... ترومان ، أي ... ترومان »

ثم انطلقت الجماهير المشتغلة سويعة ، متجاوبة مع حناجر اتباع آية الله كاشاني في هتف واحد ، يحيا باسم الشروال !

أهم الأخبار

تقرأها في

آخر لحظة

كل يوم جمعة

وكل يوم اربعاء

الفصل الثانى

« لقد ضمنـــا للامبراطورية البريطانية موردا طبيعيا نشعر ان الايام ستثبت مدى اهميتـه الفائقة للشعب البريطاني ، وفى نفس الوقت استطعنا ان نحول دون وقوع هذا المنبع الطبيعى الهائل للثروة فى ايد اجنبيـة غير بريطـانية »

السير ج ٠ ه ٠ كادمان

فى حفلة افتتاح شركة الزيت الانجليزية الايرانية

هل رأيت هؤلاء المجانين ؟ ـ ١ دارسي مصريب ـ ذهب أصفر وذهب أحمر ـ الحكومة البريطانية تتدخل ـ المستقبل هنا ـ العالم يلتفت الى بترول ايران ـ رضا بهلوى يثور ـ عصبة الأمم تجد حلا سلميا ـ بترول ايران حتى النصر ـ أغنى موارد العالم ـ المشاكل تبدأ ـ سقط الرجل القوى !

١ - اخطاء اربعين سنة !

كان خيابان سپاه - شارع الجيش - يبدو كقطعة من يوم الحشر !

أنواع المظاهرات تبدأ من أول مبنى ادارة البريد والبرق حتى مبنى شركة البترول الانجليزية - الايرانية أو شركة سهامي نفت انگليس وايران، كما يسمونها باللغة الايرانية !

والهتافات تنطلق من الشارع ، محيية تأميم البترول ، و ، سقوط الاستعمار ، كأنها قذائف تقتحم النوافذ المغلقة لتستقر داخل الحجرات التي جلس فيها أصحابها من الموظفين الانجليز ينتظرون ما يدخره القدر في النوايا المقبلة

وكنت جالساً في مكتب « نورثكروفت » المدير العام لشركة البترول ، وموضوع الحديث بالطبع - ! - مشكلة تأميم البترول

وكان مكتب نورثكروفت صورة حية للارتباك والحيرة موظفون يروحون ويجيئون دون قصد أو سبب ورسائل وبرقيات واردة من لندن ، ورسائل وبرقيات غيرها مرسلة الى لندن

والتليفونات على مكتب نورثكروفت تدق جميعها في وقت واحد كأنما اتفقت فيما بينها على أن تستعد من بين أجراسها المختلفة على اتمام صورة الحيرة والارتباك

وبدا نورثكروفت نفسه قطعة حية من جو مكتبه

وكانت نوافذ المكتب مغلقة ولكن الهتافات كانت تنفذ منها

لتشوي جو الغرفة كأنها ملعب رصاص

وقال لي نورتكروفت :

— هل رأيت هؤلاء المجانين ؟

ثم استطرد : ماذا يريدون ؟

ومضى يرد على نفسه « إن لا أنكر أن شروطنا في الماضي لم تكن سخية بالنسبة لهم ، وأعرف أن شكواهم ، ولكن كما قلت لك [illegible] كل ذلك قد مضى [illegible] وليس في استطاعتي أن أفهم ماذا يريدون الآن — مرة واحدة — يحاسبوننا عن أخطاء أربعين سنة مضت

[illegible] معهم إلى أقصى حد [illegible] ونحن نبذل كل جهدنا للتفاهم [illegible] ولكن جهودنا المخلصة لا [illegible] إلا [illegible] هذه [illegible] المتعطشة للدم »

وسكت نورتكروفت وكان [illegible] يتظاهر بأنه [illegible] ثم [illegible] داخل الغرفة [illegible] ثم استطرد

أقول لك الحق .. إن [illegible] ولقد كنت [illegible] صباح اليوم وكدت [illegible] على [illegible] طوال الوقت

ومر نورتكروفت [illegible] و يستطرد

— إن قلقي [illegible] من جراء ما يحدث هنا — ليس مقصورا على [illegible] الشركة في العاصمة البريطانية — ولكنه [illegible] في ١٠ داوننج ستريت [illegible] رئاسة الوزارة

٢ — الذهب الأحمر والذهب الأسود

إن قصة شركة البترول الانجليزية الإيرانية هي [illegible]

بريطانيا في سياستها البترولية كلها !

ولقد بدأت القصة سنة ١٩٠١ ، وكان البطل انجليزيا مغامرا اسمه وليم دارسي خرج من مقاطعة « ديفونشير » في انجلترا مهاجرا الى استراليا يبحث عن النجاح والغنى

وحصل دارسي على النجاح فقد اشتغل محاميا وبرز في عمله

ثم عثر دارسي على الغنى فقد أشركه أحد أصدقائه معه في البحث عن منجم ذهب . اكتشفا مكانه بالفعل، واذا دارسي يصبح صاحب ملايين فيقرر ان يعود الى وطنه الأصلي – بريطانيا – لينعم بالذهب !

ولكن القدر كان قد ادخر لدارسي منجما آخر ، من الذهب أيضا، ولكنه ذهب أسود اللون ... هو بترول ايران !

القت المصادفات في طريق دارسي بتقرير وضعه العالم الفرنسي مورجان عن احتمالات وجود البترول في ايران ، ولم يكن وجود البترول في ايران سرا مجهولا، ولكن تقرير مورجان كان يرسم صورة مغرية ، لمستودعات الهائلة من البترول التي ترقد دون استغلال في بطن التربة الايرانية .

وبدأ دارسي يهتم بالذهب الاسود ، فحصل من الشاه مظفر الدين قاجار – ملك ايران سنة ١٩٠١ – على امتياز للبحث عن البترول واستغلاله في [illegible] ميل من اراضي ايران ، شاملة لكل مناطقها ماعدا المقاطعات الشمالية الخمس وهي أذربيجان ، وجيلان ومازندران ، واستراباد ، وخراسان

وكانت الشروط التي حصل عليها مظفر الدين لقاء هذا الامتياز ، صفقة خاسرة اذ لم يزد ثمن هذا الامتياز على عشرة آلاف جنيه انجليزي تدفع نقدا ، وحصة من ارباح استغلال البترول

قيمتها ١٦ في المائة تدفع كل عام

وبدأ البحث ...

وركزت الشركة أبحاثها في الحدود التركية التي كانت هدفا لعمليات مورجان، أكثر مناطق ايران غنى بالبترول. وفي نفس الوقت أحدثت جماعات صغيرة من فرق البحث ثقوبا في الجنوب ولكن أحدا لم يشعر بها الآن كل الآمال كانت متجهة الى الشمال

ومرت سنوات والأبحاث تجري دون فائدة أو جدوى

واكتشفت الشركة أنها قد صرفت ٣ آلاف جنيه أي نصف رأسمالها ـ دون أن تعثر على قطرة بترول واحدة .. وكان دارسي رأس المال يتبخر بسرعة. ويتلاشى معه تماما الأمل الوردي العذب!

وفكر دارسي ذات يوم في بيع الامتياز وبالفعل باع حصة منه لشركة بورما [illegible] مرور سنة ١٩٠٦ أن يترك الامتياز كله لشركة أجنبية كانت آمالها في بترول ايران أضخم من دارسي

وفجأة تدخلت الحكومة البريطانية!

كانت حكومة بريطانيا ترقب باهتمام مجهودات دارسي لاستخراج بترول ايران وكانت مشكلة موارد البترول من أهم مشاكل الامبراطورية البريطانية في بداية القرن الحالي وهكذا لم تجد حكومة بريطانيا مفرا من أن تتدخل لتشجيع دارسي من التخلي عن امتيازه، ولتحول دون وقوع امتياز الأرض في أيدي غير بريطانية!

وكان هذا أول تدخل بريطاني رسمي في بترول ايران؟ ولكنه لم يكن التدخل الأخير

ومهما يكن من أمر فقد استمر دارسي في عمله بتشجيع الحكومة

البريطانية. ولكن صاحب الجلالة الاسود المراوغ كان مصرا على المحاورة والمناورة !

ثم حدثت المعجزة !

ابرقت احدى جماعات المهندسين الجيولوجيين التي كانت تعمل - اصابعي - في منطقة الجنوب سنا هام «لقد تفجرت اليوم بئر بترول قرب « شيباء سرح » في مقاطعة خوزستان في الجنوب الغربي لايران » !

وانتقلت كل قوى البحث من منطقة الحدود التركية الى مقاطعة «خوزستان» . وظهر أن صاحب الجلالة الاسود كان قد عمل المطاردة عندما تسلم صاحبي عمه مقاطعة عربستان في منطقة خوزستان !

وشهدت السنوات التالية تطورات هامة في قصة بترول ايران ففي سنة ١٩٠٩ تكونت شركة البترول الانجليزية الفارسية رسميا لمباشرة الاستغلال على نطاق واسع

وبدأت الحكومة البريطانية تهتم اهتماما مباشرا بأمر البترول في ايران ، وكان كل المسئولين يقدرون ، ان مستقبل البترول اللازم للامبراطورية كلها يكمن في ايران .

وكان أكثر المسئولين البريطانيين اهتماما هم ضباط وزارة البحرية باعتبار أن موارد البترول الايرانية هي المراكز الطبيعية لتموين الاسطول البريطاني العامل في اسيا وبحار الصين والمحيط الهندي والبحر الاحمر ـ بالوقود اللازم له

وفي سنة ١٩١٤ ، والحرب العالمية الاولى تلوح بنذرها القاتمة، طلبت الامبراطورية البريطانية من شركة البترول ان تستعد لمواجهة الموقف ، وعلمت الشركة انها لا تستطيع بامكانياتها الحديثة أن تواجه كل مطالب الامبراطورية

وكان وزير البحرية البريطانية يومها ونستون تشرشل ، لدى قرر الاقدام على احدى حركاته الجريئة فقد تمكن من اقناع حكومته في الحكومة البريطانية ــ بدخول شريكا مباشرا في شركة البترول ، بدفع مليونين ونصف مليون من الجنيهات لتحصل على ٥٢ في المائة من أسهم الشركة

وكانت هذه الخطوة مرحلة حاسمة في قصة البترول الايراني !

٢ ــ بترول ايران في وجه المطامع

وانتهت الحرب العالمية الاولى ، فبدأ بترول ايران عصر تطورات مدهشة !

أصبحت ايران الدولة الرابعة في انتاج البترول في العالم ، وأصبحت الدولة الثانية المصدرة للبترول بين دول العالم وأصبحت معامل التكرير الملحقة بها في عبادان المصنع الاول لتكرير الزيت في العالم !

وكان البترول في جنوب ايران بكميته في ذلك الجزء من الهضبة على خطوط المواصلات بين الشرق والغرب مع وجود موانئ صالحة للملاحة ، مصدر الرغبة كلها لتستثمره كما تشاء الشركات وجوده نوعه

وبدأ بترول ايران يلعب لعبته الخطيرة في مصائر الدول ، وبدأ في نفس الوقت يلعب لعبته في مصائر صاحبه الاصلي شعب ايران !

وكانت اسرة قاجار الحاكمة ــ سليلة الاستعمار الفارسي ــ قد فقدت عرشها ، وآل الى اسرة بهلوي ، التي أطلق رضا خان مؤسسها اسمها في أعقاب سقوط اسرة قاجار .

وكان الشاه الجديد في حاجة الى المال لتنفيذ الاصلاحات التي

تحلم بها فاستحب أنظاره - على عور - كما انسحب قبله أنظار الدول الى بترول بلاده ، واكتشف رضا بهلوى أن مجموع ما تحصل عليه الحكومة الايرانية من البترول الذى تحتفظ بها ارضها لا يزيد في المتوسط على مليون جنيه كل عام ، فطلب من الشركة أن تدخل معه في مفاوضات لتعديل الامتياز بقصد ان تحصل الشعب الايرانى على حصة أكبر من البترول الذى يتدفق من ارضه ، وحاولت الشركة ان تماطل ، ولكن رضا بهلوى كان ضيق الصدر فاذا الشركة تتلقى منه فى نوفمبر سنة ١٩٣٢ انذارا بانه قرر الغاء امتياز البترول الممنوح لدارسى !

ورفعت الحكومة البريطانية امر الانذار الى عصبة الأمم التى تدخلت فى النزاع والقت بمهمة التوفيق بين الحكومة الايرانية وبين شركة البترول ، وهكذا تمت الازمة وعقدت الشركة والحكومة في سنة ١٩٣٣ اتفاق تعديل الامتياز ، وكان من ابرز شروط الاتفاق

- انقاص مساحة الأراضى التى يشملها امتياز الاستغلال
- فرض رسم قدره ٤ شلنات عن كل طن من البترول الخام تستخرجه الشركة من الآبار الايرانية يسدد لحكومة الايرانية
- رفع نصيب الحكومة الايرانية فى الأرباح الى ٢٠ فى المائة
- مد العمل بالامتياز ستين سنة من تاريخ توقيع التعديل أى استمرار سريانه حتى سنة ١٩٩٣

وبدات العلاقات بين الشركة والحكومة تدخل مرحلة جديدة .. أشبه ما تكون بشهر العسل ، وراحت الشركة تؤكد لموظفيها أن معامل الشاه ..

كان خلاله في أول حكمه قد أصدر أمرا بتغيير اسم بلاده من «فارس» الى «ايران» وحرصت الشركة أن تغير اسمها من «شركة البترول الانجليزية الفارسية» الى «شركة البترول الانجليزية الايرانية»

واستمر تدفق النفط حتى نشبت الحرب العالمية الثانية

وكان بترول ايران هو المركز الاستراتيجي الاول للامبراطورية البريطانية ، وتضاعفت قيمته خصوصا بعد دخول اليابان في الحرب ، وضياع موارد البترول في الشرق الاقصى وانقطاع المواصلات مع الولايات المتحدة عن طريق الباسيفيك بسبب نشاط الاسطول الياباني !

ولم يكن امام الاسطول البريطاني ، والاسطول الامريكي ، وبقية أساطيل الحلفاء في هذه المنطقة سوى بترول ايران ، وشاركت الجيوش البرية وأسلحة الطيران المحالفة في الامن المعقود على مصانع التكرير في عبادان

والبترول هو عصب الحرب دون نزاع ، والا فماذا نصنع بحاملات الطائرات والبوارج والمدمرات والمدرعات والغواصات وناقلات الجنود في البحر . وماذا نفعل بالدبابات والسيارات والعربات المصفحة وجرارات المدافع على الارض ، وماذا نفعل بطائرات القنص والمقاتلات والمطاردات ، والسابحات في الجو ... اذا جفت مراجلها جميعا من الوقود الذي تبعث فيه الحياة !

انها بدونه — كما قال البروفسور كابوت الامريكي في تقريره عن موارد البترول في الشرق الاوسط — تصبح أي قطع من الحديد الخردة معطلة تماما !

وهكذا كفل بترول ايران حركة الجهاد لبلاد الحلفاء وقواتهم المسلحة في تلك الايام السوداء ، ولكن هل كما يقول معظم

بسبب ايران ، صاحب الفضل الاول في النصر !

ولقد بلغ من اهتمام الحلفاء بهذا المورد ، انه لما احست [illegible] بتسرب الالمان الى ايران وبميل الشاه رضا بهلوي بعواطفه الى دول المحور ، لم تجد مجالا للسكوت دقيقة واحدة . فاقتحمت بريطانيا من الجنوب ، وروسيا من الشمال على اجتياح ايران واحتلالها وخلع رضا بهلوي عن عرش ايران. وقد اقدم الحلفاء على هذه الحركة الحربية في منتصف الفترة الحرجة من الحرب سنة ١٩٤١ . وكان السر الكبير الكامن وراء هذه الخطوة بترول ايران

٤ - دولة داخل الدولة

[illegible] الحرب العالمية الى [illegible] الحلفاء الى تعطيل بترول ايران ، وكان الانتاج الايراني من البترول كبيرا ورفعت كميته ارتفاعا عجيبا حتى ليكاد يصل الى كمية الانتاج الروسي ، والانتاج الروسي هو ١٨ مليون من البراميل في السنة . وبلغ انتاج بترول ايران في سنة ١٩٤٦ ما يقدر بـ ١٦٠ مليون من البراميل ، ولكن الاحصاءات الصحيحة ، والجهود المبذولة تعرف به . فاذا احصائيات سنة ١٩٤٨ عن انتاج البترول الايراني في مناطقه المختلفة تصبح كما يلي :

الآبار في آغا جاري	٦٨٫٦٤٤٫٠٠٠ برميل
« « هفت كل	٧٥٫٧٩٥٫٠٠٠ «
« « لالي	٢٫٩٦٣٫٠٠٠ «
« « مسجد السليمان	٢٥٫٧٥٠٫٠٠٠ «
« « نفط سفيد	١٫٢١٤٫٠٠٠ «

اى ان مجموع الانتاج الايرانى قد زاد على مائة وسبعين مليونا من البراميل فى السنة ، وانه يقرب تقريبا من الرقم الروسى لانتاج البترول . وليس هذا الرقم الضخم وحده هو الذى يحمل كل هذه الاهمية لبترول ايران بل ان السبب الحقيقى لهذه الاهمية هو ما ثبت علميا من ان «الاحتياطى المحقق» المخزون فى باطن التربة الايرانية لا يقل عن ١٢ مليونا من البراميل !!

وفى السنوات القليلة التالية تحركت كثبت آمال شركة البترول تدرج الآفاق والمتجه عرضا وطولا ، وقد استطاعت في تلك الفترة ان توسع معامل التكرير فى عبادان فتصل طاقتها ١٦ مليونا من البراميل فى السنة ، وجعلها ايضا اضخم واحدث وادق مصانع التكرير فى العالم . واصبح لدى الشركة كل اسطول من ناقلات البترول يرفرف فوقها جميعا العلم البريطانى وتحمله علم شركة البترول . وتحمل جميعا الاسماء التقليدية التى تحرص الشركة على اطلاقها على كل قطع اسطولها والتى تبدأ بكلمة « البريطانى » . . فتجد اسطول الشركة مثلا قطعة تحمل اسم « الدوق البريطانى » واخرى باسم « الحراس البريطانى » و « الشرف البريطانى » وهكذا

واصبحت للشركة مدن قائمة بذاتها سواء فى مناطق الآبار او التكرير او غيرها من المراكز الواقعة على امتداد خط المواصلات بين الآبار

وارتفع عدد العمال والموظفين فيها الى مئات الالوف

وكانت « عبادان » قبل شركة البترول قرية صغيرة مهجورة ، وسكان عبادان اليوم يريدون عن سعى لها وهم يعيشون جميعا فى مستوى مرتفع ، وعبادان اليوم مدينة تسبح فى الذهب . .

الذهب الاصفر الذى تعدمه عليها الذهب الاسود !

وهكذا اصبحت شركة البترول الانجليزية الايرانية ـ دولة داخل الدولة ـ بل بعض وحدها اصبحت الدولة فى ايران

٥ - الرجل القوى صرعه البترول

ثم جاءت الازمة الاخيرة

وقال لى مستر نورثكروفت ، مدير شركة البترول المقيم فى طهران ، وكنا لا نزال فى مكتبه

ـ كانت المطامع والدسائس تربص دائما ببترول ايران وسكت يصغى الى اصوات الطائرات الطائرة فى جو « خيابان سيناه » المزدحم بالمتظاهرين ، واستطرد .

ـ مطامع ودسائس من كل ناحية ، من داخل ايران ومن خارجها ، ومن الاعداء والاصدقاء ، بل من الاصدقاء قبل الاعداء !

ومضى مستر نورثكروفت الى تفصيلات الازمة فقال :

« كانت بداية الازمة فى يوم ٢٣ اكتوبر سنة ١٩٤٧

وانطلقت الشرارة الاولى من « مجلس ملى » ـ مجلس النواب الايرانى ـ وكان هذا المجلس قد اتهمك فى بحثه عن البترول على اثر طلب كانت الحكومة الروسية قد تقدمت به لحصول على امتياز للبحث عن البترول فى شمال ايران فى الجزء الملاصق للحدود الروسية ، واتخذ المجلس قرارا برفض الطلب الروسى ، وكان معروفا أن ينتهى الامر عند هذا الحد ، ولكن بعض النواب قدموا اقتراحا مفاجئا ، قالوا فيه

« ان المجلس فى نفس الوقت الذى يقرر فيه رفض منح

امتيازات جديدة لاى راسمال اجنبي للبحث عن البترول في ايران ، نتوجه الى رئيس الوزراء برغبته في ان نشرع فورا في مفاوضة شركة البترول الانجليزية الايرانية لرفع نصيب ايران في بترولها »

واذا الاقتراح يحصل على اغلبية في المجلس ، ولا تجد الحكومة القائمة في ذلك الوقت مفرا من ان تبدأ اتصالاتها مع شركتنا تنفيذا لرغبة المجلس

ومضى المستر نورثكروفت يقول :

« ولم نجد ما يمنعنا من ان ندخل في مفاوضات مع حكومة ايران ، وكان املنا قويا في الوصول الى حل عادل معقول لاننا كنا نؤمن من اعماق نفوسنا بحق ايران في تعديل الاتفاق ، وفي ذلك الوقت كانت هناك وزارات تذهب ووزارات تجيء . وكان المفاوضون امامنا يتغيرون وتتغير لهجاتهم وآراؤهم ، ولكننا نحن لم نتغير ، ولم نضعف رغبتنا في الوصول الى اتفاق ، وحاولنا ان نكون منصفين . وفي اكثر من مرة عرضنا على الايرانيين شروطا قلنا لهم ونحن نقدمها اليهم

ـ هذا آخر ما عندنا ، فاذا لم يعجبكم فنحن آسفون ، ولكننا لن نزيد عليه ريالا واحدا ، بل سنظل ملتزمين حدود الاتفاق القديم ، ولن نقبل فيه كلاما ، وانسوا وشأنكم

ولكننا كنا نعود فنراجع بدافع الرغبة المخلصة في الوصول الى اتفاق

ثم وصلنا اخيرا مع حكومة السيد ساعد محمد ساعد ـ الحكومة السابقة على حكومة « رزم آراه » ـ الى مشروع اتفاق نهائي يرفع حصة ايران في ارباح الشركة الى اكثر من ثلاثين في المائة ، وعرض المشروع الجديد على المجلس للموافقة عليه قبل

تو يمه بعرض المجلس بالبرلجنة خاصة لبحث تفصيلاته على ان تقدم له تقريرا سبحه بحثها

وتوقف « بورنكروف » وطال صمته وهو يعبث باوراق على مكتبه ، ثم عاد الى الكلام :

ـ هذه هى الخطوط الرئيسية لسير الازمة الى ما قبل التطورات الاخيرة ، ولكن كوبديبا اذكر لك انه لم يكن فى هذا كله حتى ذلك الوقت ما يصح ان نطلق عليه وصف ازمة ، انما جاءت الازمة بعد ذلك » !

وعرفت القوى الوطنية التى تصارع فى ايران ان البترول هو الميدان الذى يجب ان تخوض فيه معركتها الكبرى فاذا مشروع الاتفاق المعروض على لجنة البترول فى المجلس يصبح هدفا لتاثيرات ومناورات جمة

وبدأت اللجنة تعرض فى مواد المشروع مادة بعد مادة ، ثم اذا هى فى نهاية الامر تعصف بالمشروع كله ، وتكتب رئيسها الدكتور محمد مصدق ـ رئيس الكتلة الوطنية فى المجلس ـ ورئيس الوزارة الان ـ تقريرا يقول فيه ان اللجنة ترى خير عمل هو « تأميم البترول »

وكانت القتيلة .. وسقطت وزارة اسد ساعد محمد سعد التى اعدت مع الشركة مشروع الاتفاق . وجاءت وزارة رزم آرا ... اقوى رجل فى ايران ..

وهز بورنكروف رأسه فى اسى وقال :

ـ ولقد رأيت بنفسك ماذا حدث للرجل القوى !!



الفصل الثالث

التجربة وحدها هى التى تبين اين هو الضعف واين هى القوة ؟ واذكروا ان السلاسل الحديدية الهائلة تتساوى مع خيوط العنكبوت الرفيعة ، اذا لم يكن ثمة ضغط عليها !

• سر •

جولــــة وسط العواصف خطــاب تحط الامبراطور ـ مؤامرة على العرش ـ اخرجوا منها ـ مقاومة سلبية ـ تحت صورة لنبي ـ السفير البريطاني مسئول ـ مصر خاب بعد الآراء ـ ابنه واخوته ـ لسبب بهذه البساطة ـ أيها الكلاب اخرجوا واتركوا السرول لنا !

١ ـ ارملة غلبتها الدموع

لم يكن الجنرال رزم آراء أقوى الرجال في ايران فحسب ، بل كان ايضا اسوأهم حظا

كانت العواصف تهب عليه من حوله ـ منذ رئاسته الوزارة الايرانية ـ من كل الاتجاهات ، والصواعق تنقض عليه من كل الآفاق

وكان مقعد رئيس الوزراء أشبه ما يكون بكتلة متحجرة ترتكز على دعائم من أصابع الديناميت !

وفي تلك الظروف جلس رزم آراء على مقعد رئيس الوزراء ،

وكان هناك من يشفق عليه ولكن الغالبية كانت تقول

ـ انه وحده رجل الموقف ، وهو وحده القوي القادر الذي يستطيع ان يصد الطوفان !

وكان سجل رزم آراء حتى ذلك الوقت حافلا

ولقد جلست في غرفة مكتب رزم آراء في بيته ، وكانت زوجته وشقيقها ، احد اقارب الجنرال جالسين معي ـ وكانت الارملة الملفوفة في السواد

ـ أمامك أوراقه ، فقلبها كما تريد ، اني اتمنى ان تعرفه كما كان فعلا ، لكيلا تصدق فيه كل ما قيل عنه

واشارت ارملة رزم آراء الى دولاب كبير مليء بالكتب

هل ترى هذه المجموعة من المؤلفات العسكرية ، انها دائرة معارف فنون الحرب ألفها هو ، وهي تدرس اليوم في كلية الحرب في طهران ، وتدرس في غيرها من الكليات الحربية في العالم

ان روجى لم يكن ضابطا عاديا ولكنه كان استاذا من اساتذة العلوم العسكريه . استاذا له مدرسه خاصه ، وله نظريات خاصه

وانهمكت الارملة الملفوفه فى السواد فى فتح درج من ادراج مكتب الجنرال القتيل . وهى تقول :

ــ وكان روجى مواطنا مخلصا لوطنه ايران

واستقرت يدها على ملف دس فى احد الادراج فأخرجته واستطردت :

ــ اقرا هذا الخطاب

وناولتنى خطابا يحمل الشعار الامبراطورى لاسرة بهلوى ومضت تقول :

لقد جاء يوم فقد وطنه قطعة من اراضيه ... ولايه اذربيجان ، التى قام فيها الشيوعيون حكومه ثوريه منفصله عن حكومه ايران

ولم يكن للارمله الا روجى . فكلفه الشاه بان يعيد الى ايران القطعه الغاليه من ارضها التى يوشك ان تقطع منها

وسكتت الارملة وهى تهز راسها الما ثم قالت :

ــ والآن اقرا هذا الخطاب !

وكان الخطاب كتب على خط اليد :

عزيزى الجنرال رزم آراه

لقد ادت بعثتك العزيز خدمة جليله لى سيذكرها لك الاجيال القادمه من شعب ايران الوفى ، فانجح ان المجهود الذى قمت به باعاده الامن واستطعم الى اذربيجان العزيزة التى كادت المطامع والاهواء تعصف بروابطها مع ارض الوطن ــ مجهود عظيم ضخم الآثار

واني لشديد العرفان لهذا العمل الذي قمت به وقام به ضباطك وجنودك البواسل واني اذ اوجه لك شكري وتقديري — مع هذا العرفان — ارجو ان تبلغهم في نفس الوقت الى الجنود والضباط التابعين لرئاسة اركان حربك

محمد رضا بهلوي — امبراطور ايران

وخذ هذه !

وكان الصوت ، صوت الارملة المتشحة بالسواد . وهي تناولني صورة للامبراطور كتب صاحب الجلالة بخطه تحتها

عزيزي رزم آراه

مع اعجابي وتقديري لجرأتك الكبيرة ، وولائك وتفانيك في خدمة مليكك وبلادك

محمد رضا بهلوي

وكان الاسى قد غلب الارملة فتساقطت دموعها ، واجهدت نفسها وهي تحبس الدموع بين شهيق ونشيج حتى استطاع صوتها ان يطاوعها على الكلام :

- اني ارجوك ان تروي كل شيء سمعت وان تبحث وتدقق كما يروق لك ، اني ابانه من اعصاب روحي هنا ، فلتجد روحه العدالة في بلد آخر حين تختفي وجه الحق في وطنه ، ايران

واستطردت الارملة .

- ما اكثر ما يقولون عما لهم . لقد ظهرت ... عرسه ما سمعنا بها الا بعد ان ارتمى المسكين جثة هامدة على الارض

وتسحب بدا الارملة وهي تسائلني

- هل سمعت حكاية المؤامرة التي زعموا انه كان يدبرها

ليجلس على عرش ايران ! لقد زعموا انه كان يجتمع بالجنرالات مهندي ، وحجري ، وهداب لهذا الغرض فهل يمكن ان تدخل مثل هذه الاكذوبة في رأس عاقل ؟ ...

هل يتصور احد ان الجنرال رزم آراء سرحه الحافل يتآمر على امبراطوره !

ثم اين كان يجتمع بالجنرالات مهدي وحجري وهداب ... اين ومتى !!

وانسحبت الارملة خارجة من الغرفة فقد بهرها سيل الدموع .

٢ - تحت صورة لينين

قال لي احد سفراء الاجانب في طهران

– لقد مضى الجنرال رزم آراء اربعة اشهر كاملة في مصر جولستان . ولست اعرف كيف مضت ولكني اؤكد لك ان جميع الدبلوماسيين في طهران . قلت جميعا انه لن يستطيع البقاء اكثر من ثلاثة أيام !

ومضى السفير الاجنبي في طهران يقول ، وهو يشعل سيجاراً فاخراً :

– ولكن رزم آراء كان ملاحا ماهراً . فقد طلب وزارته على قمم امواج الحوادث الهوج تعلو وتهبط وتسير وتدور كفارسة تائهة ، ولكنه قارب متين !

ولقد ظل القارب الثابت يقاوم ، والآن الانواء تكاثرت عليه . واحرقت الصواعق شراعه فتمت وتحطم على صخور الازمات ! »

لقد بدأت العاصفة الاولى التي واجهتها وزارة رزم آراء في

نفس الدقيقة التي امره الشاه فيها بتأليف الوزارة
كان الظرف دقيقا . والحوادث عاصفة . .
وقال الانجليز انه لابد من رجل قوي لمواجهة الحالة
وقال الامريكان ان الموقف في حاجة الى يد من حديد
وقال كل مستشاري الشاه . انه لابد من عمل شيء سريع
وقال جلالة الشاه ان الرجولة القوية ، واليد الحديدية ، والعمل
السريع ، ليس لها الا رجل واحد في ايران هو : رزم آراء
واتفق الجميع " الانجليز ، الامريكان ومستشارو الشاه ،
على ان رزم آراء ، هو كل هذه الاشياء مجتمعة
واصدر الشاه امره اليه بتأليف الوزارة . دون ان يحصل
على موافقة مجلس النواب ، كما تقضي بذلك التقاليد الدستورية
في ايران

واستجمع رزم آراء اعصابه لمواجهة الموقف فكان طلبه الاول
من الامبراطور ان يصدر امر تسمية رئيس الوزراء بوصفه
" الحاج علي رزم آراء " وليس الجنرال رزم آراء ، وكان لقب
" الحاج " ملك لرزم آراء ولو انه لم يزر البيت الحرام في حياته ،
ذلك ان التقاليد في ايران تقضي بان يسمى كل الذين يولدون
ليلة وقفة عرفات " حاجا " . وكان الجنرال رزم آراء من مواليد
ليلة عرفات !

وخلع الجنرال ملابسه العسكرية ليرتدي الملابس المدنية
وهكذا دخل مبنى المجلس في اليوم التالي لتأليف وزارته
لمواجهة النواب شخصا جديدا . .
اسمه الحاج علي رزم آراء . ولا علاقة له بالجنرال رزم آراء !
صاحبه رئيس وزارة يرتدي الملابس المدنية ، ولا علاقة له
بذاك الذي كان يرتدي ملابس رئيس هيئة اركان حرب الجيش

الايرانى منذ يوم واحد !

وكان المجلس يهدر لهاتفاً لا مصراً ، فهتف فى وجهه صيحات النواب :

- اخرج من هنا الى الذين ارسلوك

نحن لا نقبل ان تكون رئيس وزارة

- انت رجل عسكرى ولا علاقة لك بالسياسة

- لهذا كنت تعمل وتقوى مركزك طوال الاعوام الماضية استعدادا

التى تصبح فيها رئيسا لهيئة اركان الحرب يا رزم آرا

- اخرج يا صنيعة الانجليز والامريكان

.. هذه الكراسى المدنية لا تحق لك فأنت عسكرى وليس لك حق ان تبقى هنا !

وكان رزم آرا ينظر الى كل هذا ويبتسم ويحافظ على هدوء اعصابه . الكلمة الوطنية المتطرفة تلو الكلمة

- اعترف لك ان رزم آرا استطاع ان يسيطر على اعصابه ، واستطاع بهذا ان يسيطر على الموقف

ولم يفكر فى جلسة سرية سوى ان يجعلوا شيئا الا ان يصعدوا الوضع ولكنهم صمموا فى تصعيد الموقف على الحكومة المقبلة ،

وطوال مدة حكم رزم آرا لم يخرج من مجلس النواب مشروع واحد !

وقال لى دبلوماسى امريكى فى طهران

- « لقد كان رزم آرا رجلا ... كان يظهر عواطفه صبغة نحو ... ،

ولكنه كان حريصا على ان يبدد هذا الظن فقد هو يقبل الرشوة

... سكوف اروبى او من يقبل من اسمه »

وظهر ان رزم آرا احس ان تهمة صداقة الانجليز والامريكان تحلق فوق رأسه فأراد دفعا للظنون على ان يظهر ... ب...

وإذا هو من أول معارضيه سياسة وبين سادتشكوف يعرض عليه مشروع معاهدة تجارية بين روسيا وإيران !

وبدأت المفاوضات ثم انتهت سريعا إلى اتفاق، ونشرت صورة للجنرال رزم آرا خلال حوار سادتشكوف وهما يوقعان معا المعاهدة التجارية الجديدة ووراءهما صورة للرفيق ستالين بعرا جريدة براقدا، وهي صورة كبيرة معلقة على أحد جدران السفارة الروسية في طهران !!

ومضى رزم آرا أكثر من هذا في مجاملة موسكو

كانت هناك تسعة أطنان من الذهب استولى عليها الروس أثناء احتلالهم الشمال لإيران وادعوا أنها تستثمر في موسكو أمانة لحساب إيران، وطالبت حكومات إيرانية سابقة بهذه الكمية من الذهب . ولكن رزم آرا في اتفاقيته التجارية مع الروس نزل عنها !

ومجاملة أخرى !

كان هناك أكثر من ثلاثين ضابطا وجنديا ومدنيا لجأوا إلى إيران من حدودها المشتركة مع روسيا، عبروا الحدود ذات يوم وقالوا إنهم هاربون من الحياة في الاتحاد السوفيتي وإنهم يطلبون أمانا ومأوى، وكانت الحكومات الإيرانية السابقة قد منحتهم ما طلبوه، وإذا رزم آرا، دون سبب، ودون سابق نية ! يسلمهم إلى حكومة موسكو

واتهم رزم آرا بأنه جافى أبسط واجبات الوفاء بتسليم هؤلاء اللاجئين، ولكن — وكما قال لي أحد أصدقاء رزم آرا — لم يجد الجنرال الفتى بدا من هذه الخطوة ليثبت حسن نيته تجاه الذين اتهموه بأنه صنيعة الإنجليز

ومجاملة ثالثة أو رابعة !

كان ثمانية من زعماء حزب توده الشيوعي ، معتقلين
في سجن « زندان قصر » شمال ايران وكان بينهم الزعيمان
الشيوعيان « الدكتور يزدي » والدكتور جودت .
ثم وقعت حادثة غريبة في سجن « زندان قصر » .
وقفت امام السجن مساء احد الايام سيارة بوليس يركبها
ضابط ايراني ذهب الى مأمور السجن وقال له « انه قادم
من وزارة العدل ليتسلم المسجونين الشيوعيين للتحقيق
معهم » وقال مأمور السجن لقد وكلائه واعوانه انه سيسلم
المسجونين للضابط على شرط ان يصحبهم بنفسه الى التحقيق
ليعود بهم الى السجن بنفسه ـ مبالغة في الاطمئنان ـ بعد
انتهائه

وركب الجميع مأمور السجن والضابط والشيوعيون سيارة
البوليس ومن ساعتها اختفوا جميعا .. ويقول خصوم رزم
آراه :

ـ هل يعقل ان يهربوا بهذه البساطة لو لم تكن الخطة مدبرة
بين رئيس الوزراء والسفير الروسي ؟ »

٢ ـ السفير البريطاني مسئول

وجاء دور مشكلة رزم آرا الكبرى .. مشكلة تأميم
البترول ، التي عمل الهيب سحابها فيما بعد ان يعرف طلب
ذهاب روحه الى الجحيم

وليس لرزم آرا تصريح واحد محدد ضد تأميم البترول
ولكن الذي لاشك فيه ايضا انه لم يكن مؤمنا باستطاعة
ايران ان تقدم على التأميم الآن »

ولقد ظهر ضعف ايدن ورزم آراء فكرة التأميم على شكل مجموعة من الاسئلة وجهها الى لجنة البترول ، وكانت لتلك الاسئلة قصة . فقد حضر الجنرال يوما مناقشة للجنة ثم قال ان لديه اسئلة يريد ان يفهم من الاعضاء الموقرين اجاباتهم عليها قبل أن يصدروا قرارهم

وطلبت اللجنة من الجنرال أن يقدم أسئلة مكتوبة ليدرسها الاعضاء فقال الجنرال انه سيفعل ماهو أكثر من هذا ...

سيقدم الاسئلة مكتوبة ، وسيقدم ايضا - بمساعدة من مساعدي اللجنة - اجوبة هذه الاسئلة على ضوء معلوماته ، وعلى اللجنة ان تصحح له ماتراه خطأ في الاجوبة . ثم تدرس الاسئلة والاجوبة معا وتقرر على ضوء دراستها ماتراه في المشروع التأميم .

وكانت الاسئلة واجاباتها خطوطا من السلك احكم نسجها معا لتدل سرا على فكرة التأميم

وكان بين هذه الاسئلة ما يلي

- ما هي قيمة المرتبات التي تدفعها شركة للعمال الايرانيين في السنة ؟

وكانت الاجابة التي قدمها الجنرال على هذا السؤال

● قيمة المرتبات التي تدفعها شركة لعمالها الايرانيين هي ٢٫٨٠٠ مليون ريال في السنة

وسؤال ثان جاء فيه .

كم عدد العائلات الايرانية التي تعيش بطريق مباشر وطريق غير مباشر على موارد شركة البترول ؟

والاجابة

● هناك ٦٣ الف اسرة تعيش مباشرة على موارد شركة البترول

وهناك ١٢٠ الف اسرة تعيش بطريق غير مباشر عليها

وسؤال ثالث :

- كم ستكسب الخزانه الايرانيه من الشركة هذا العام بناء على الاتفاق الاضافي ؟

والاجابة .

● ان الخزانة الايرانية ستربح ٨ ملايين جنيه استرليني هي نصيبها عن سنة ١٩٤٩ التي يشملها اتفاق التعديل الجديد . هذا عدا مبلغ ١١ مليون جنيه هي نصيبها عن سنة ١٩٥٠

وسؤال رابع

- ماهو ثمن منشآت الشركة الآن ، وماذا يمكن ان ندفعه من تعويضات نظير استيلائنا عليها ؟

والاجابة

● اذا نظرنا الى ميزانيات الشركة تبين لنا ان المنشآت التي لم تستهلك نفقتها بعد في ميزانيات الشركة تقدر قيمتها الاسمية ، ٢٧ مليون جنيه ، ولكن التعويضات التي يجب دفعها هي ٥٠٠ مليون جنيه في اكثر الظروف تفاؤلا في راي الخبراء الايرانيين

وسؤال خامس :

ما هو المبلغ الذي يلزم للشعب الاولى لانتاج البترول اذا قررنا التأميم

والاجابة :

● نفرضنا على الفور ، وعلى اقل تقدير ، مبلغ ٧٠ مليون جنيه

وسؤال سادس :

- هل نستطيع عقد قرض يكفل هذه المبالغ التي تلزمنا لشراء المنشآت والتعويض عنها ، وتشغيل الانتاج ، يعرض أمامنا

على التأميم ؟

واذا حدث هذا واستطعنا عقد قروض بهذه المبالغ كلها فهل نستطيع سدادها قبل سنة ١٩٩٣ وهي السنة التي ينتهي فيها امتياز الشركة اوتوماتيكيا ويصير كل ماتملكه من منشآت حقا خالصا للحكومة الايرانية ؟ !

وترك الجنرال هذا السؤال لاعضاء لجنة البترول يتولون الاجابة عليه

ورد لي الدكتور محمد مصدق رئيس الوزارة الآن ورئيس لجنة البترول في ذلك الوقت على هذا السؤال وكنت قد سعيت لمقابلته في حجرة المعارضة بمجلس النواب الايراني

قال لي الدكتور مصدق — أو مصدق كما ينطقها الايرانيون

— كان رزم آراه يرى أن ندفع للشركة ٦٠٠ مليون جنيه وانا اقول ان الشركة لاتستحق الا سدس هذا المبلغ ذلك لاني اومن أن عقد مد الامتياز الذي عقد سنة ١٩٣٣ في عهد الشاه رضا بهلوي، اتفاق باطل لانه تم في عهد دكتاتوري كممت فيه المعارضة واخرس لسانها ؛ وليس ادل على ذلك من ان السيد تقي الدين زاده رئيس مجلس الشيوخ الحالي وهو الذي وقع باسم ايران اتفاقية سنة ١٩٣٣ سئل اخيرا :

— لماذا وقعت هذا الاتفاق ؟

وقال السيد زاده « لقد صدر لي الامر أن أوقع .. فوقعت »

وضرب الدكتور مصدق بيده على مكتبه ثم قال

— واذن فان هذا الامتياز ، باطل منطقا وقانونا ، ولا يبقى مايربط ايران بالشركة الانجليزية سوى اتفاق دارسي القديم الذي كان مقررا أن ينتهي بعد عشر سنوات ، وهو ينص على ان كل ممتلكات الشركة تصبح في نهايتها حقا خالصا لحكومة ايران،

وإذن فقد استهلكت شركة حتى الآن جميع أسلحتها جميعها
ولم يبق لها إلا الدس وانتظار أسواق العالم تحرص على استعداد
لتعويضها عنه ...

ثم هز الدكتور مصدق رأسه قائلا

- لا أظن أن إيران تعجز الآن عن اقتراض مائة مليون جنيه
تستغل بترولها

وكانت الكلمة الأخيرة قد أبلغت رأيه هذا إلى رزم آرا ،
ولكن الجنرال ضرب كفا بكف وقال

- إن المسألة ستبت بهذه الساعة

وثمة حقيقة يجدر أن تقال وهي أنه إذا كان رزم آرا
يعتنق الإيمان بإمكان تأميم البترول ، فقد كان يعتقد أيضا
بقوة الإيمان بحق إيران في أن تحصل من أرباح بترولها على
نسبة أكبر مما كانت تحصل عليه . وكان يقول

- لو أن الشركة قسمت الأرباح بالنصف ، لاستطعت أن
أواجه المجلس وأواجه الشعب .

وبعد ما كتب تاريخ هذه الفترة الحرجة في إيران ، سوف
يمسك المؤرخون بملابسات سير فرنسيس شبرد السفير الإنجليزي
في طهران ، ويحسبونه سبب دم رزم آرا .

ووراء هذا سر دفين من أسرار الأزمة في إيران سمعت تفصيلاته
من أحد كبار المسئولين في البلاط الملكي الإيراني

فقد كان الجنرال رزم آرا قد قابل السفير الإنجليزي السير
فرانسيس شبرد في أواخر شهر فبراير الماضي – ١٩٥١ – وأوضح
له الصعوبات التي تواجهه ، وقال الجنرال للسفير

- إنه يرجو أن تبلغ الحكومة البريطانية – صاحبة المصالح
الكبرى في شركة البترول باعتبارها مالكة لـ ٥٢ في المائة من

أسهمها — انه ما لم ترفع نصيب الحكومة الايرانية من أرباح البترول الى ٥٠ في المائة فان الموقف أمامه — أي رزم آرا — سيكون عصيبا تستحيل مواجهته!

واقتنع السفير على ما يبدو بموقف الجنرال فأبرق لحكومته بتفصيلات المقابلة ورجا الحكومة البريطانية   وكان ذلك في أول مارس — بأنه رغبة منها في حل الازمة [illegible] ، بعده اشتراطات ، الموافقة على رفع نصيب الحكومة الايرانية في أرباح الشركة الى ٥٠ في المائة !

ولكن السير فرانسيس شبرد السفير البريطاني لم يقدم هذا العرض على الفور بل احتفظ به في جراب السفارة لمساومة، ولم [illegible] اضطرابات حتى تهدأ وينتظر اللحظة الملائمة المؤثرة

ومن سوء الحظ ان الامور تطورت بأسرع مما قدر السفير البريطاني ، فاذا رزم آرا يقع صريعا في ساحة مسجد الشاه، وبعد مصرعه بأربعة أيام رأى السفير ان مواجهة الأزمة الحادة تقديم عرض الحكومة البريطانية

وحمل السفير رغبة حكومة بريطانيا وذهب لمقابلة جلالة الشاه في قصر المرمر ويتصل بالمسئولين . وظهر ان البرقية ارسلت الى السفير منذ خمسة عشر يوما ثم اتضحت الحقيقة .

ومن سوء الحظ ان الجنرال كان قد فقد حياته وكان العرض كذلك قد فقد قيمته لأن زمام الموقف افلت . وما تسرب من العرض البريطاني الى شوارع طهران ، واذاعته في نفس الوقت محطة الاذاعة البريطانية . احس الرأي العام الايراني بضعف مركز الانجليز وقوة حجة المطالبين بالتأميم وارتفع صيت الزعيم الايراني آية الله كاشاني بطلا فذا .

ـ ايها الكلاب الاصفر .. لا نريد اي اتفاق معكم ..
اتركوا لنا ثروتنا واخرجوا من بلادنا !!





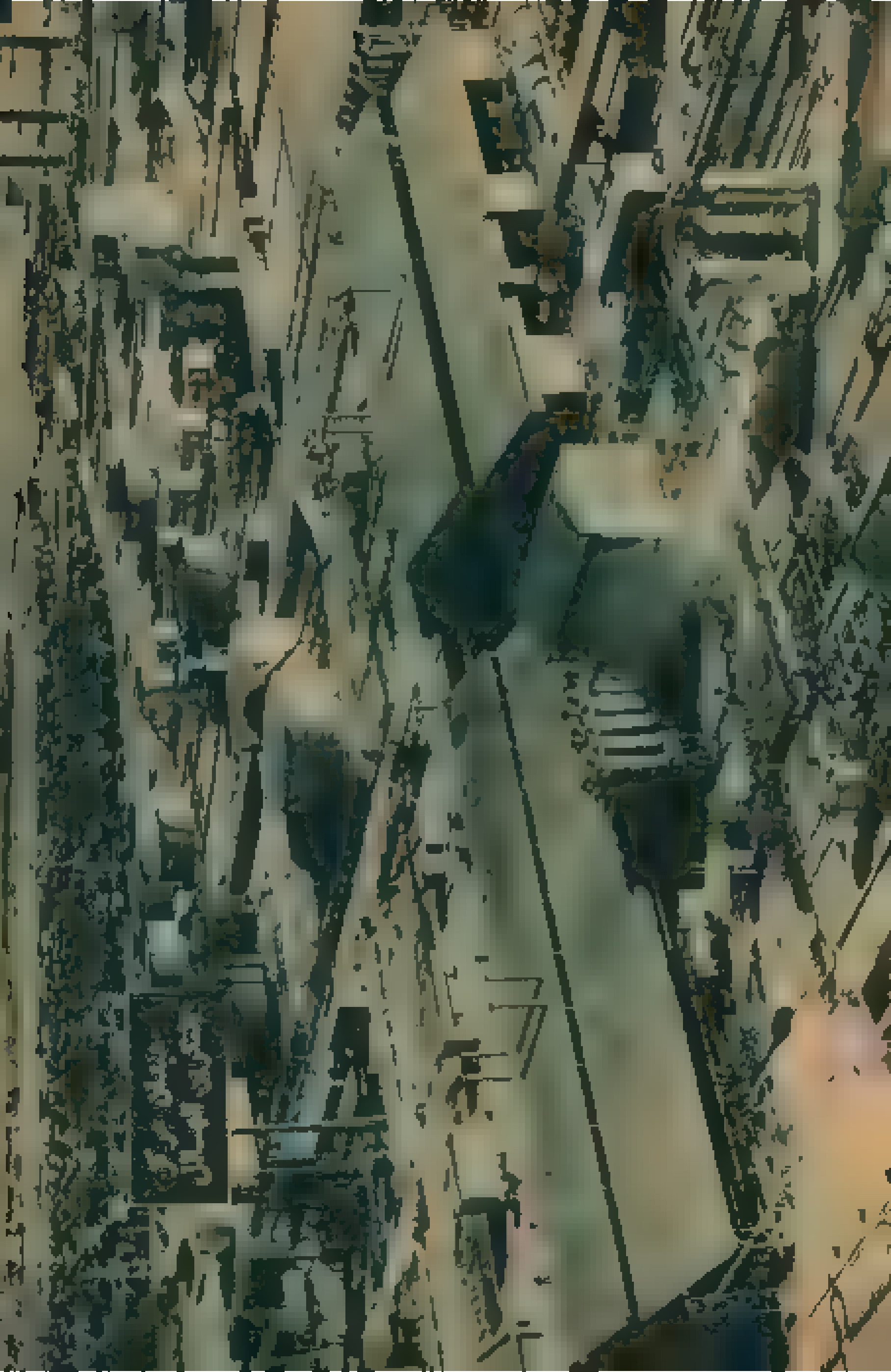






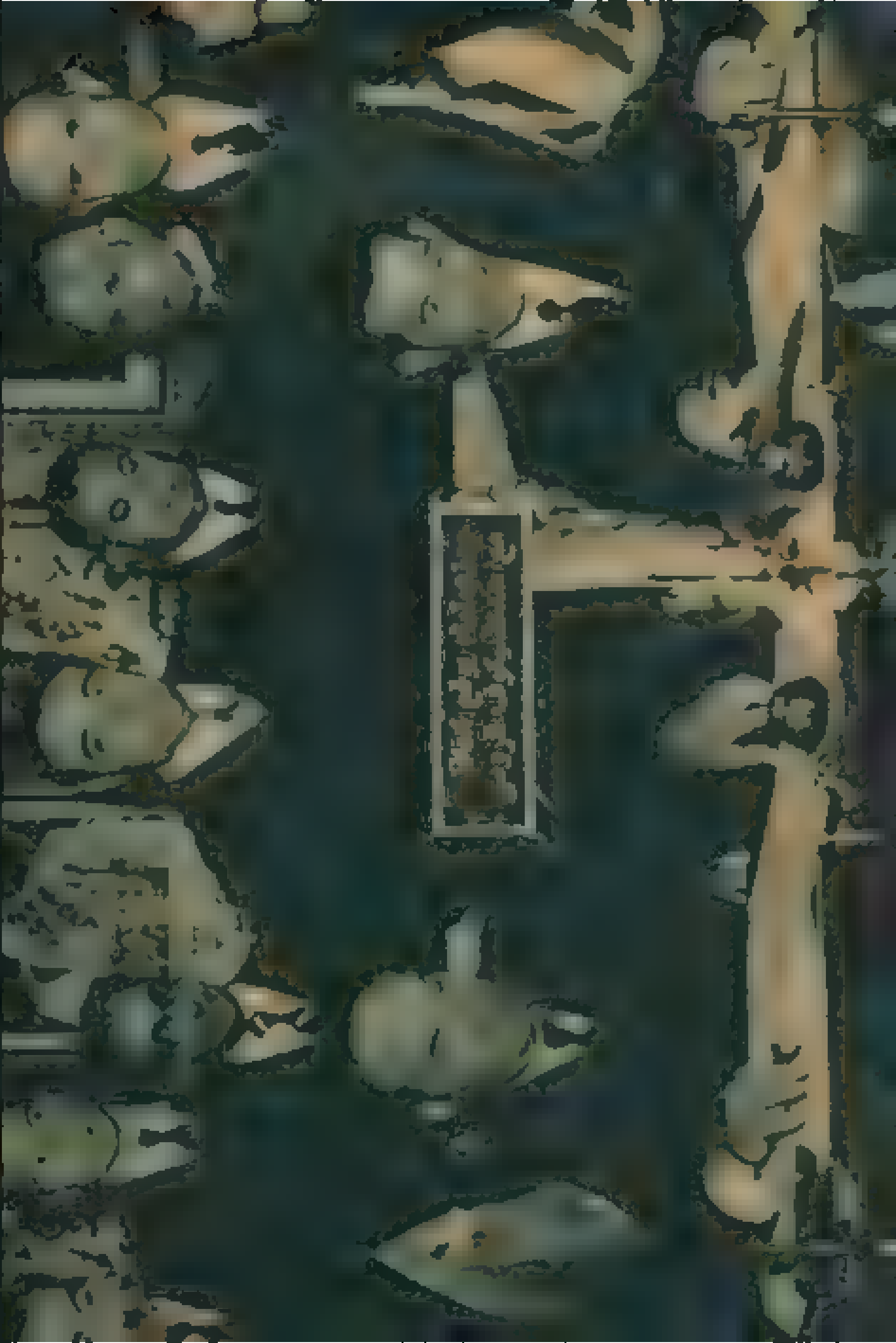






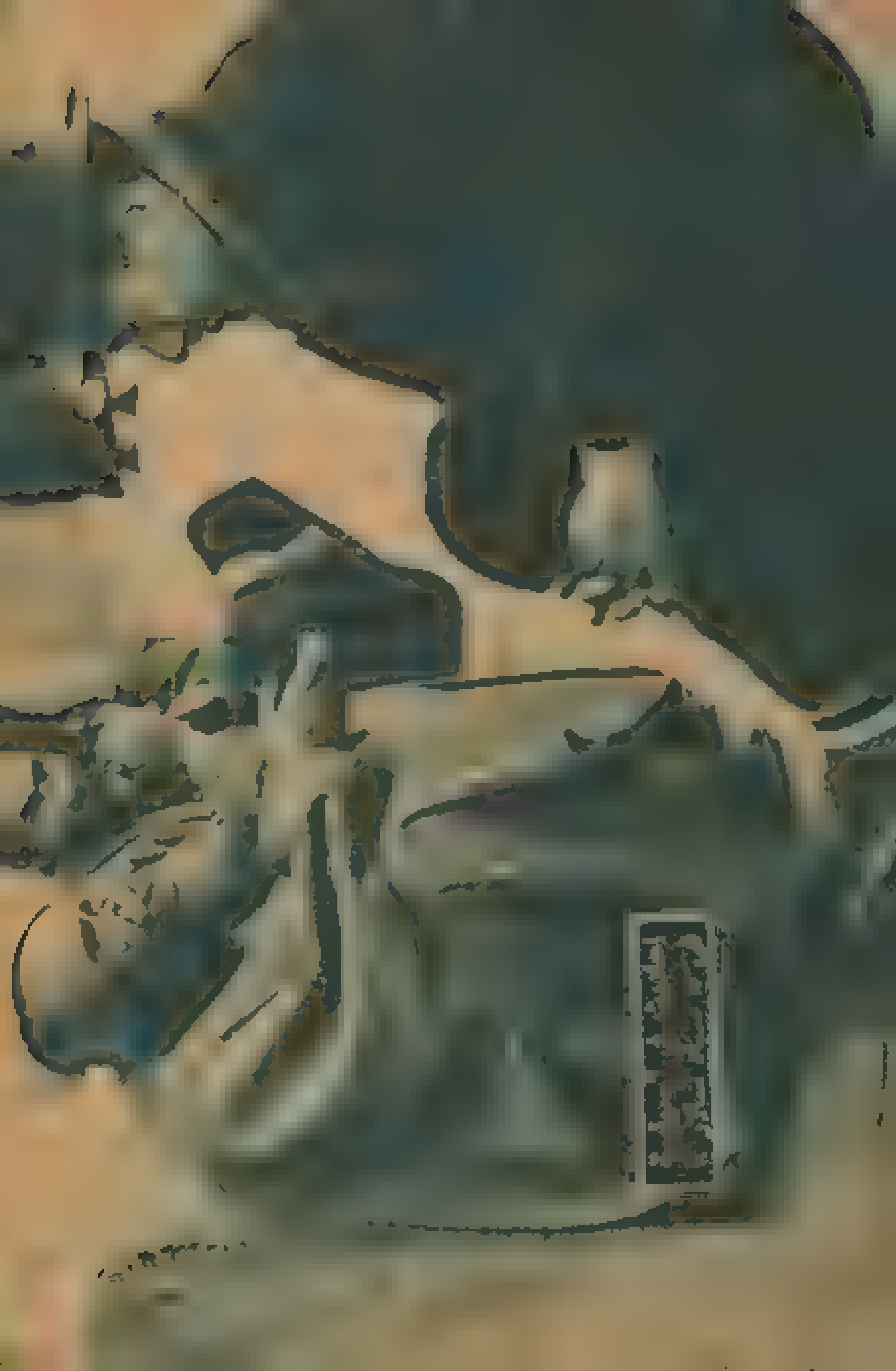


















الفصل الرابع

ماذا يعني عن القانون ؟

لسبب املك القوة ! ؟

« كوربيلوس قاهر بلخ »

هات الكتب — ثالوث في الثورة — ماهو دور السينما الامريكية ؟ — حتى مايلك المؤمنون — الرأي الذي يعني عنه آية الله — مقياس اسلام — الدهاليز الملتوية — على كل واحد ان يركع — أين القرآن — آية الله غاضبة — حديث مع صحفي اجنبي — هم رحيل بعد هتلر — عيان على مصر !

١ ـ سيد الموقف في طهران

كان صوت آية الله ابو القاسم كاشاني يدوي في جميع انحاء الدنيا وهو يهدر :

ـ أيها الكلاب الاستعمار ، اتركوا لنا بترولنا واخرجوا من بلادنا

وكانت الرصاصات الاربع التي صرعت رزم آرا وقد جعلت لآية الله كاشاني السيطرة الكاملة على الموقف في طهران

وكانت شوارع العاصمة الايرانية في تلك اللحظات العصيبة تروي اساطير مثيرة عن آياته ! وهل ما كانت ترويه طهران من اساطير ، حكاية المظاهرة التي امرها آية الله بان يزحف على البرلمان يوم مناقشة موضوع التأميم

لقد تجمع اكثر من مائة الف متظاهر ، وراحوا يصرخون ويهتفون في كل الشوارع المؤدية الى ميدان بهارستان حيث مقر البرلمان . واشيع في طهران ان البوليس تلقى امرا باطلاق النار اذا حاصرت المظاهرات ، اقتربت اكثر مما ينبغي من دار البرلمان، وسرى وصفوف المتظاهرين تردد وصل خبره الى آية الله كاشاني فاذا هو يصرخ في ابنه السيد محمد كاشاني قائلا :

ـ هات الكفن !

وجاءه ابنه بالقماش الذي اعد لكفنه وبدا آية الله يغتسل ويتلو الصلوات على جسده ، ثم لف نفسه في الكفن وخرج مستعدا ، للقاء الموت

وكانت قصة الكفن مدسوسة الى كل المتظاهرين فاحالتها الى كتل من البارود ثم برز آية الله في كفنه فكان النار التي اشعلت البارود ، واذا شوارع طهران تغلي بالجموع واللهب ، وتقدمت

المظاهرة كانت القضاء والقدر الى حين أسرلها .

وحتى وصفته كتب سادق الحسيني ، الوليس قد أدارت

موجاتها ، بناء على الاوامر التي وردت من مصدر المرجع

لاحقومة للمظاهرة التي يقودها آية الله

ومضيه آية الله كاشاني هذه بسيطة ، ولكنها قوية ، قوة

الاعصار !

اسمه الحقيقي ابو القاسم كاشاني – نسبة الى مدينة كاشان

التي ولد فيها ، وهي من مقاطعة خراسان

واما آية الله فهي تسمية عليه انصاره صاحبة في الظهر ، ... في طاعته

واسرة « كاشاني » اكبر اسرة في مقاطعة خراسان ولها السيادة

الدينية الكاملة على سكانها ، وآية الله كاشاني وريث ...

اسرته والوارث المباشر لمجدها القديم كله .

لمع اسم ابي القاسم كاشاني في مدينة « قم » المركز الديني

الديني الكبير فاذا هو ينصب بسرعة ... الشيعة

... ودا وعفيها وكان ... مركز ...

باقي رجال الدين ... على ...

واتجه ابو القاسم كاشاني الى السياسة فاذا صيته ...

في العراق ، ويمتد عبر حدود ايران في افغانستان شرقا ،

والى العراق غربا ، وحتى اليوم لدى شيعة آية الله

الزعيم المطلق للشيعة كلها

واشتهر آية الله بعدائه الشديد للانجليز ، فلما قامت ثورة

رشيد عالي الكيلاني في العراق ضد الانجليز سنة ١٩٤١ كان

آية الله كاشاني هو زعيم الثورة الروحية ، وكان الناصح

لصحفي الذي يحكم بغداد في تلك الايام ... رشيد عالي

الكيلاني قائد الثورة ، والشيخ أمين الحسيني مفتي القدس الأكبر ، وآية الله كاشاني زعيم شيعة القوى

وفشلت ثورة الكيلاني . فبدا آية الله كاشاني يصحب معه زميليه – الكيلاني والحسيني – ويخترق بهما حدود العراق الى ايران .. أو الى السلامة والأمان !

ولما دخل الانجليز ايران كان أول من قبضوا في طهران محاصرة بيت آية الله كاشاني بالدبابات والسيارات المصفحة ثم نفيه خارج ايران

واختار آية الله أن يستقر في لبنان حتى لا تفصل بينه وبين ايران الا حدود سوريا وحدود العراق . ولم يفقد اتصاله أبداً بالأحداث وهيبته من أجل علاقته بالأحداث كانت أكثر من مجرد اتصال ، فإن آية الله كاشاني انتخب وهو في المنفى نائباً في مجلس النواب الايراني ممثلاً لإحدى دوائر طهران الانتخابية !

ولم يكن هناك مفر لأن يبقى في المنفى رجل انتخب في غيبته عضواً في مجلس النواب ، وأرسل أنصاره الى آية الله كاشاني يدعونه – مصرين مكررين – أن يعود الى وطنه ، وفيه رأي سمعته من أحد أنصاره في طهران ، وهو رأي – أو سر – يتعلق بعودة آية الله ..

قال لي محدثي السمير

– ان السلطات الأمريكية في طهران تدخلت لكي تسهل عودة كاشاني الى ايران ، وكانت هذه السلطات الأمريكية قلقة من جراء سقوط حزب توده الشيوعي وانتشار دعوته فاتجهت الى القمة الدينية .. لعلها مقاومة انتشار الشيوعية بقوة العقيدة الدينية ، وكان رجل الدين القوي ، ورجل السياسة القوي ، وعدو الشيوعية القوي ، في نفس الوقت

هو آية الله أبو القاسم كاشاني . ومن هنا أحدثت السفارة الأمريكية رسميا تصريحها لجلالة الشاه بأن يسمح لكاشاني بالعودة .

ومهما يكن من أمر فقد كان استقبال الشيخ العائد من المنفى استقبالا لم تر له طهران نظيرا من قبل . فقد تجمهر أكثر من نصف مليون رجل وامرأة وطفل الى منطقة مطار مهراباد ، وداخل المطار نفسه وقف الوزراء والنواب ورجال الدولة صفا واحدا .

ولما خرج آية الله كاشاني بسيارته خارج مطار مهراباد كان هناك منظر فريد . فمن الجموع المحتشدة خرج العشرات حملت السيارة كلها ، وركابها جميعا ، فبدت السيارة كأنها طائرة فوق رؤوس المستقبلين .

ولم يضيع آية الله وقتا فقد بدأ يهتم في تنظيم صفوفه والاستعداد للمعركة . ولم يمض غير قليل حتى كان على أتم استعداد ، فقد أحكم نشر نفوذه الأخطبوطي في كل اتجاه .

كانت قوته الروحية تصل الى القلوب

وكانت قوته المادية هي كل أموال الضريبة الدينية التي تجبى من المؤمنين باسم الإمام الغائب بنسبة الخمس مما يكسب كل فرد منهم

وكانت المدارس الدينية في النجف — في العراق — وفي قم في ايران — وهما أكبر مراكز التعليم الديني للشيعة وغيرهما من المراكز — تعيش على أموال الضريبة التي يسيطر عليها آية الله كاشاني ، وبالتالي كان طلبة هذه المدارس رسل دعاية لآية الله ، وكان خطباء المساجد ونحوهم — وهم أيضا يتقاضون مرتباتهم من أموال الضريبة — ألسنة تسبح في المساجد بحمد آية الله وشكره

وبهذا كله سيطر آية الله على روح الشارع في ايران ، ولكنه

كان يريد أيضا أن يسيطر على البرلمان والرأي العام الواعي وراء البرلمان ، ومن هنا نشأت الكتلة الوطنية في مجلس النواب، وكانت الكتلة تتألف من عشرة نواب معظمهم تخرج في السوربون ، جمعتهم رغبة الزعامة ، ولكنهم جميعا لهم آمال ومطامع ، وهكذا أصبحوا برئاسة الدكتور محمد مصدق تحت لواء آية الله كاشاني

ولما وقف اللورد فانسيتارت الدبلوماسي الإنجليزي المشهور يهاجم آية الله كاشاني في مجلس اللوردات البريطاني ، ووصف نشاطه وكل اتجاهاته المعادية لبريطانيا ومواقفه على أنه « المهيج الإرهابي » آية الله كاشاني هو سر الكوارث الواقعة في إيران — لما حدث هذا قام نواب الكتلة الوطنية الدينية وأعضاؤها في مجلس النواب الإيراني هجوما على الإنجليز وانتصارا لآية الله ، وكان من ما قاله الدكتور بقائي :

« إن التراب الذي يسير عليه آية الله كاشاني بحذائه أشرف ملايين المرات من رؤوس كل ساسة الإنجليز » .

والعامل الأخير من عوامل نفوذ آية الله كاشاني هو جمعية فدائيي إسلام الإرهابية الدينية

وهي أيضا — ملجؤه الأخير !

كان ملجأ أولا إلى نفوذه الروحي لتحقيق ما يريد

فإذا عجز النفوذ الروحي لجأ إلى نفوذه الشعبي المنتشر في المساجد على ألسنة الخطباء والوعاظ والأئمة

فإذا عجز النفوذ الشعبي لجأ إلى النفوذ السياسي ممثلا في الكتلة الوطنية في البرلمان

فإذا عجز النفوذ السياسي لجأ إلى النفوذ المادي الذي تمده كل أموال الشيعة

فإذا عجز النفوذ المادي .. وعجز قبله كل نفوذ .. عن تحقيق

زعامة آية الله كاشاني واعدائه . نحّى كل ذلك جانباً ، وترك الكلمة لفدائيان اسلام

ولتتكلم فدائيان اسلام

كلماتها .. طلقات رصاص ..

وعباراتها ... مدافع رشاشة !!

٢ ــ القاضي يغمى عليه فوق منصته

وآية الله كاشاني هو الزعيم الروحي الأعلى لفدائيان اسلام . ومنه تستمد الوحي وتستلهم الارشاد ، ولكنه ليس الرئيس التنفيذي المباشر لها

ولقد بدأت قصة « فدائيان اسلام » منذ بضع سنوات في مدينة « النجف » المركز الشيعي الكبير .

كان « نواب صفوي » ـ صاحب فكرة فدائيان اسلام ورئيسها التنفيذي المباشر ـ يدرس في مسجد الهندي بالنجف ذات صباح فوقعت في يده صحيفة ايرانية تحوي مقالا كتبه الصحفي الايراني المشهور « كسروي »

ووجد « نواب صفوي » أن المقال يحمل طعنا في الدين الاسلامي ـ أو هكذا تصور ـ فاستشاط غضبا . وذهب الى احد المجتهدين من ائمة الشيعة يعرض عليه المقال ويسأله رأيه فيمن يكتب هذا الكلام

وقال الامام المجتهد

ــ كافر ، ويحل قتله !

قالها الامام المجتهد ببساطة ولم يكن يدري أن فتواه هذه ستكون أمرا بتأليف أكبر جمعية ارهابية في الشرق

واحتفظ «نواب صفاوى» بصورة الامام المجتهد فى قلبه ، وحمل عصاة ضخمة فى يده وسافر الى طهران يبحث عن « كسروى » الكافر الذى يحل قتله

واستقر « نواب صفاوى » فى مسجد « شاه سالار » — أكبر مساجد طهران — وروى لى صديق له من فدائيى اسلام انه كان يمضى يومه جالسا فى صحن المسجد على حافة البركة التى تتوسطه ، يراقب الاسماك الملونة الصغيرة وهى تسبح فى مائها المتموج ، ويفكر ولا ينقطع عن التفكير فى أحسن الطرق لقتل كسروى !

وكان « مسجد شاه سالار » ملتقى لجمع من الشبان المتدينين الذين تغلى فى صدورهم براكين التعصب مشتعلة متأججة !

وهمس « نواب صفوى » بفكرته واذا صداها يجمع حوله عددا من الزملاء الجدد هم رواد « فدائيان اسلام » الاول !

وسحب « فدائيان اسلام » وجودها عصيا ضخمة هجم ثلاثة من اعضائها على كسروى — الكافر الذى يحل قتله فى رأى امام الشيعة المجتهد ! — وظلوا يضربونه بالعصى الغليظة حتى سقط على الارض مغرقا ، واعتقد افراد فرقة الهجوم انه مات ، فانصرفوا عنه !

ولكن الحياة لم تكن بعد قد انصرفت عن جسد « كسروى » وكان القدر يريد ان يكون لضربة مكملة .

ونقل الى احد المستشفيات ، حيث أجريت له عملية ردت الحياة على اثرها الى جسده بعد ان كادت تفارقه !

واعلنت فدائيان اسلام ان ظهر الارض قد طهر من جانى استقر جسده النجس — ! — تحت التراب ، ثم اكتشفت بعد ساعات ان وجه الارض لم يتم تطهيره . . وان كسروى لم يمت بل ان الامل كبير فى شفائه

وباتت « فدائيان اسلام » تتربص بعد صدمتها لافلات الفريسة من يدها ، ولكن صدرها امتلأ في الوقت نفسه بأحقاد جديدة انتظارا لفرصة سانحة !

ونسي كسروي وعاد يباشر حياته العادية وهو يعلم أن سيوف التهديد التي شرعها فدائيان اسلام معلقة فوق رأسه، وكان قد احتاط لذلك فحمل مسدسا وعين حارسا شخصيا يحمل مسدسا آخر

وذات صباح وقف كسروي — وكان محاميا الى جانب كونه صحفيا .. يترافع أمام احدى الدوائر القضائية في وزارة العدلية بطهران وفجأة تسلل الى غرفة المحكمة أربعة على رأسهم نواب صفوي نفسه ، وفي هذه اللحظة بدأت المعركة — غرفة المحكمة في وزارة العدلية — تدوي بطلقات الرصاص وهرب الذين كانوا في القاعة جميعا ، شهودا وقضاة ومحامين ومتفرجين وأغمي على القاضي الجالس فوق منصته العالية

ولم يقف كسروي هذه المرة فقد سقط قتيلا وفي جسده ١٢ رصاصة وسقط حارسه الذي معه كذلك — قتيلا هو الآخر — بينما كان يحاول اخراج مسدسه

وخرج الفتية الأربعة من دار العدلية ومسدساتهم في أيديهم ثم ابتلعتهم مساجد طهران ذات الظلال الناعمة !

وطلعت الصحف ببيان من فدائيان اسلام تعلن فيه أن العالم قد استراح من شرور كسروي، واستراح بحق وحقيق هذه المرة !.

وكانت المفاجأة الكبرى بعد ذلك هي خروج آية الله كاشاني الى الميدان ، فقد برز فجأة يحمي فدائيان اسلام ، ويعلن انه يبارك قتل كسروي

ووجدت سلطات الامن في طهران ان الموقف يتطلب ان تتحرك بسرعة ، والقت القبض على نواب صفاوي وعلى نفر من اصدقائه ووجهت اليهم تهمة قتل كسروي

وبدات المحاكمة في جو صاخب ، وكانت انباؤها اشبه ما تكون باساليب « فدائيان اسلام » التي كانت بياناتها المتوالية تملأ صفحات الجرائد كل يوم كاشفة العنف الدموي ، ووراءها بتأييد آية الله كاشاني الذي تعهد الدعوة بعدها

وبحثت سلطات العدالة عن شاهد اثبات واحد من العشرات الذين كانوا في قاعة المحكمة ساعة وقوع هجوم « فدائيان اسلام » لقتل كسروي فلم تجد شاهدا واحدا يتقدم . حتى القاضي الذي كان يجلس على منصته ناشرا الاحكام بالعدل بين الناس قال انه لم ير شيئا لقد سمع الرصاص يملأ جو القاعة وشاهد انتشار الذعر من حوله . فسقط مغشيا عليه ولم يشعر بشيء الا بعد ساعات !!

وجاء يوم النطق بالحكم على المتهمين الاربعة

وحين دخل القضاة الذين سيصدرون الحكم في الصباح الى دار المحكمة ، فوجئوا بزجاجات غريبة على مدخل الدار

وسأل القضاة عن سر الزجاجات فقيل لهم انها اهداء من اسرة نواب صفاوي وزملائه

وقال القضاة ولكن لم يصدر الحكم بعد ..

وقيل لهم ولكن « فدائيان اسلام » اعلنت نصرها في عدالتكم

وعرف القضاة ان هذه الزجاجات مرسلة من دار المحكمة الى بيت آية الله كاشاني الذي دعا المتهمين — الذين لم تصدر الاحكام عليهم بعد — الى احتفال بمناسبة احتفالا ببراءتهم — ! —

هكذا كان الامر قد فرغ منه وانتهى ، وكان كاشاني هو الذي

سيصدر الحكم !!

وشهد القضاة ـ امس ! ـ على باب قاعة المحكمة عددا من الحراس ، وقيل لهم ان آية الله كاشاني أمر بأن تذبح ضحية تحت اقدام نواب صفاوي وزملائه بعد خروجهم قبل الظهر من المحكمة ..

هكذا تنتهي البساطة !..

وحين دخل القضاة لجلسة النطق بالحكم اماكنهم في قاعة المحاكمة وجدوا ان مقاعد الصحفيين كلها قد امتلأت بذوي الاردية السود العمائم ، واللحى المرسلة ـ واصطفوا في صفوف تقوى يشتعل التعصب الذي يصل الى حد الجنون .

ولم يجد القضاة مفرا ، ولا مخرجا فنزلوا عند رغبة آية الله كاشاني فيهم ، ثم حكمهم بالبراءة !

وخرج نواب صفوي ، واصدقاؤه ليجدوا الخراف تذبح تحت اقدامهم امام قاعة المحكمة ، ووجدوا الجموع الهائلة تنتظرهم في مواكب حاشدة تنادي بهم وتتحرك ، ومن مظاهر الافراح الى بيت آية الله كاشاني

وكان الموقف في حاجة الى رجل حازم .

وبدا « هجير » وزير الاعلام بحكم الخطط والتدابير حتى تمكن من نفي « آية الله كاشاني » خارج حدود ايران

واختار آية الله ان يقضي ايام النفي في بيروت

وحين وصل الى بيروت ـ كتبت صحف العالم تحمل انباء عاصفة عن اغتيال وزير الاعلام الايراني « هجير »

وخرجت صحف طهران تقاطع الملك بالتهنئة ـ تحمل اسما من « فدائيي الاسلام » . وفي بعض اللحظات كان قاتل هجير يقف امام المحققين يقول لهم :

– اسمي حسين امامي . ولقبت «مجير» ، نامر من فدائيان اسلام .

وعاد آية الله كاشاني من منفاه الى طهران ليستقبل عواصف هوجاء من احماسه . واتباعه

وظلت الامور تجري على هذا النحو

آية الله كاشاني يعطي الوحي والالهام

ونواب صفاوي يصدر الاوامر والتعليمات

واعاصير فدائيان اسلام تنطلق اعصارا تلو اعصار ، حتى وقف خليل طهماسبي اخيرا يقول :

– نعم قتلت رزم آراء نامر فدائيان اسلام !!

٢ – ليخرج الانجليز الكلاب

ولقد قابلت آية الله كاشاني اربع مرات خلال الاسابيع التي عشتها في ازمة طهران

وتم اللقاء الاول بوساطة الدكتور محمد فاطمي رئيس تحرير جريدة باختر امروز – ومعناها الغرب اليوم – وهي الجريدة المسائية القوية التي تعرض رأي الكتلة الوطنية ، وكان صاحبها – الدكتور فاطمي نفسه – هو اول من كتب عن ضرورة تأميم البترول !

وركبت سيارة تاكسي من خيابان شاه ، اقصد زيارة آية الله ..

وذكرت عنوان البيت للسائق ولم ازد حرفا ، والتفت السائق الي بدهشة ثم قال

– هل انت ذاهب الى بيت آية الله ؟ لماذا لم تقل : اذهب

الى بيت آية الله وتوفر على نفسك حفظ اصواتي .
وسكت السائق ثم استطرد وقد رق صوته :
ـ أغاى .. (أي أيها السيد) .. لاتؤاخذني ما كان ينبغي ان ارفع صوتي امامك وانت ذاهب الى بيت آية الله !!
وتوقفت السيارة امام بيت لا يحدد ثلاثة أدلاء من اسطلوى ، ووقفت وراءهم هذه الرحلة العاصفة في البرادس المثيرة والدهاليز المعتمة ـ والتي عبرتها بعد ان اعطيتها ثلاث مرات اخرى ـ الى غرفة العادة الخاصة بآية الله كاشاني !
ولم تكن صعبة ـ قبل دخولي هذه الغرفة ـ ان اعرف مبلغ ازدحامها بالناس اذ ان نظرة واحدة الى مئات الاحذية المرصوصة خارجها من كل الانواع والاشكال والالوان كافية .. بل اكثر من كافية !
ودخلت الغرفة واذا بصري يتجه فورا ـ وفي فضول عجيب ـ الى الرجل الجالس في صدرها . ذلك الشيخ المحور ، ذي السمين ... ، وذي اللحية البيضاء ، والعمامة السوداء .. آية الله ابو القاسم كاشاني !
واحسست في اللحظة بيد توضع على كتفي وتضغط عليها لاجلس على الارض ، وجلست . ولكني كنت لا ازال في اول الغرفة فبدأت اعبر المسافة الى آية الله زحفا على ركبتي ، وفهمت فيما بعد ان اسمائه كانت تقضي بان اقترب منه هكذا !!
وكان جو الغرفة ساخنا من حرارة الانفاس المزدحمة التي ترتدد بين جدرانها ، ومن بخار اكواب الشاي الدافئة التي تدور كل عشر دقائق على الجالسين حوله وكرامه ، ومن النظرات المبهمة التي تطل من عيون ذوي اللحى الكثة !!
واعتدل آية الله على الحشية اي كي يجلس عليها ، ووضع

في نفس الوقت توقفه بين الاجابات ـ كان يمسك بيده ـ امامه على الأرض والتفت الى

وكانت هنــاك نظرة تأمل وذكاء في عينيه ، بينما ارتسمت على شفتيه ابتسامة رقيقة عذبة مشرقة بالثقة والقوة !

وقال ـ باللغــة العربيــة ـ بلهجة فارسية غريبة .

ـ اعــذرني اذا كنت اتكلم العربية هكذا ، انى اقرؤها جيدا ولكنى اخشى ان يكون نطقى بها عسير الفهم على السامعين !

واستطرد يسألني :

ـ ماذا رأيت في ايران ؟

وهززت راسى وقلت :

ـ الحق انى لم ار شيئا .. انى عشت ـ منذ دخلت حدود ايران ـ في انتظار مسائله ، اسمع في الصباح عكس ما سمعته في المساء ، وما يقوله لى واحد ويفهم عنه ، ينكره آخر ، امور مختلطة ، ولست اعرف ماذا يقول الناس في مصر حين اعود ، ويسألونني عن حقيقة ما هو حادث في ايران ؟..

وضحكت آية الله وابتسمت الى واحد من علماء الشيعة كان يجلس بجواره ـ يترجم له ما قلته باللغة الفارسية ثم التفت الى ، وكانت ملامحه قد بدأت تتغير

كان لمعان عينيه قد استحال بريقا حادا كما لو كان سيف مشرع واختفت الابتسامة الرقيقة التي كانت تفتر على شفتيه ليحل محلها تعبير قاسي يــدل على عزمه في حزم وصراحة .

وقال آية الله والكلمات تتدفق ببطء بين شفتيه .

ـ هل تريد الحقيقة في كلمة واحدة ، انما نريد اخراج الانجليز الكلاب من بلادنا

وتمهل وعيناه تتوهجان :

- نعم .. لنخرج الانجليز الكفار من بلادنا ، وليخرجوا أيضا من كل بلد اسلامي

ومضى آية الله كاشاني وهو يشير بيديه في وجهي

- لقد أضاع الكفار الانجليز استقلالنا .. كما أضاعوا من قبل قرآننا .. أين هو القرآن ؟ وأين أحكام القرآن ؟

وأشار الى علبة الملقى على الارض بجوار الوصلة ثم قال

- اكتب .. اكتب للدول الاسلامية على لساني ، قل فيها : أبا القاسم كاشاني خادم الاسلام والمسلمين يقول انه لن تقوم لكم قائمة الا اذا سيرتم حياتكم على أحكام القرآن

واستطرد وهو يهز رأسه أسى :

- ان الانجليز الكفار سرقوا منا القرآن ، وكان جلادستون ..

وقطع كلامه ليسألني :

- هل تعرف جلادستون ؟ كان كلب انجلترا ، وكان رئيسا لوزارة الكفار الانجليز .. جلادستون هذا كان يقول انه لا طريق للانجليز بين الامم الاسلامية مادام فيها القرآن ويجب أن يأخذوه منها ليقضوا على الاسلام ..

ورفع آية الله يده الى السماء وقال

- ونجح جلادستون الكلب ونجح من بعده الكلاب حتى أضاعوا من بيننا القرآن ..

وهدأت العاصفة ..

وعادت الابتسامة الوديعة ترف على شفتي آية الله .

والنظرة الهادئة الحالمة تشع من عينيه ثم قال

- سوف يموت كل الخونة أعوان الانجليز وستقطع أيديهم ؛ لقد قطعت يدي واحد منهم منذ يومين وسوف يلحقه الباقون ..

ومضى شعص الإتيمــــــــمةوانظرة الحالمة :

ـ لقد كان مثل ردم آراه بوحى والهـــام وتوفيق من الله ، وليدهب دمه عظه وعبرة لضعفاء الايمان المترددين ..

واستطرد آية الله وقد عادت الى عينيــه حدة السيوف والى شفتيه تقلصات القسوة والصعب :

ـ ســـوف يؤمم البترول ، سوف يؤمم البترول ، ولتصبح كل قطرة زيت تخــرج من أرض ايران ملكا لشعب ايران وحده دون شريك !

واستمر الحــديث برهة عن ايران ، ثم انتقـــل آيه الله الى احـــوال الدول العربيه يتحدث عنها وفجأة قال :

ـ كيف حال مفتينا الكبير ؟

وومضت عيناه حنانا وهمس :

ـ كم اتمنى لو جاء الحاج امين الحسينى الى ايران

وغادرت امرءة الصحبــة بعدساعتين ..

وكان هـــــذا اول لقاء لى مع آيه الله !

٤ ـ آيـة الله عاتــب على اخبـار اليوم

وكان لقائى الثانى مع آيه الله قصه عجيبه !

كنت قد ارسلت وصفا للقائى الاول معه ، ونشرته عن الموقف فى طهران الى اخبار اليوم

ووصل ماكتبته فى نفس يوم ظهوره فى القاهرة ـ الى طهران ، ونشرت صحف طهران المسائية اجزاء منه .

وفى ذلك اليوم كنت قد غادرت العاصمــــة الايرانية فى الصباح

بالطائرة في زيارة سريعة لمقاطعتي المازندران وجيلان في منطقة الشمال ، ولم أعد الى طهران الا في الساعة الثامنة من المساء

ووجدت باب الفندق يحاصره جمهور مهدود القوى ، وكان أول ما طالعني منه وجوه أو سحنات تختلف منها شخوصها وخيل الي اني اعرف بعض هذه الوجوه ، ثم تذكرت انها وجوه رأيتها يوم مقابلة آية الله كاشاني

واقترب مني أحدهم ، وكانت عيناه جامدتين لا ترسمان أي تعبير وقال :

ـ ان آية الله يريد أن يراك حالا ! .

وقلت معتذرا :

ولكني متعب منهوك .. فماذا لو ذهبت اليه في الصباح

وبدت اعصاب صورة للاصرار وقال الرجل

ـ ان آية الله يريد أن يراك حالا ، وأنا هنا في انتظارك منذ ثلاث ساعات ..

ولم يكن هناك مفر ، وركبت مع الرجل وباقي زملائه . سيارة انطلقت بنا في الطريق الى بيت آية الله !

والتفت الى الرجل عاتبا :

.. أنا في دهشة . كيف أن رجلا مسلما مثلك يفعل مايغضب آية الله ؟ ..

ونظر الي في ذهول من انقضت عليه صاعقة :

ـ هل فعلت مايغضب آية الله ... أنا ؟

وقال الرجل : ان بعض ماكتبته لم يعجبه !

وصحت في دهشة . ولكن أين هو ماكتبته ؟ ..

فقال لقد قرأ بعضه مترجما الى الفارسية في جرائد بعد الظهر ووصلت اليه أخبار اليوم نفسه قبل أن أجيء لأحدثك بدقائق

وتوقفت السيارة امام بيت آية الله وبركت مع احساسي
الف وادور في اسراديب المظلمة وبعد الستر القاتمة في راسي
دوامة تهدر ..

انا واثق ان ما كتبته لسيرته ما يعجب آية الله ، ولكن هل
سرت «اخبار اليوم» عن رسالتي لها ، شيئا عن الوضع في ايران ـ
من مصدر آخر ـ اغضب آية الله ؟ ـ

واذا كان هذا هو الوضع ... فكيف انصرف ؟

وطالعتني منذ الاخذة المظلمة الاشكال والالوان
والاحجام ، خارج غرفة آية الله ، وكان قلبي يدق في عنف ..
ولكن ما حيلتي !

وكان استقبال آية الله ودا ، ولكني احسست ان شيئا من
التحفظ يشوبه !

وعرفت ان كون السادن ما يحوم عليه :

ـ لقد ذهبت واشرت الى الرجل الذي جاء بي ان
سيادتكم ملاحظات على ما كتب في اخبار اليوم

واخرج آية الله نسخة من اخبار اليوم من تحت طرف
الوسادة التي يجلس عليها ثم اقترب مني واشار في نص الموضوع الى
اول سطر من رسالتي في الصفحة الاولى من اخبار اليوم وقال
وصوته يصحب همسا في اذني

ـ انت تقول اني ضد الوضع في « طهران »

ومضى بنظره بعاده ثم تساءل

ـ هل معوذي لا يعتد الى خارج « طهران » ، لماذا لم تستعمل
« ايران » بدلا من « طهران »

واحسست بالهدوء يعود راجعا الى قلبي ، وابتسمت وانا اقول

ـ اهذا كل شيء ؟ ... لقد قصدت بطهران ان ارمز بالعاصمة

الى الدولة كلها وهذا واضح على ما اظن .

وفكر آية الله لحظة ثم رفع رأسه وعلى شفتيه ابتسامته الرقيقة التي تلمع ذكاء، وقال :

— هناك شيء آخر !

وفتح الصفحة الثالثة من اخبار اليوم وقال :

— « بعد كتاب الكلمات تخرج مقصقصة مكسرة من فمي »

وقاطعته في دهشة انا لم اقل هذا ولم اكتبه !

وامتدت يدي فاخذت منه نسخة اخبار اليوم وقلبت سطورها بعيني . في نفس الوقت الذي احسست فيه ان مئات العيون المطلة من البدرون الكبيرة التي تملأ الحجرة ترمقني في انتظار وترقب .. وتعجب !

ووجدت ان العبارة التي اثارت اعتراض آية الله وقلت

— انا لم اقل ان الكلام يخرج من فمك مقصقصا مكسرا وانما قلت « وكانت الكلمات تمضي سلسة بين شفتيه »

وهناك فارق كبير في المعنى بين الوصفين !

ونظر الى آية الله في دهشة وقال : أهذا صحيح ؟

قلت : ها هو ذا تحت عينيه هنا في « اخبار اليوم »

واخرج آية الله نسخة الجريدة الايرانية التي ترجمت ما نشرته اخبار اليوم وقال :

— اذن هناك خطأ في الترجمة الايرانية

واستطردت انا قائلا :

— ولقد اردت بقولي « وكانت الكلمات تمضي سلسة بين شفتيه » ان ارسم صورة للثقة واليسر الذي كنت تنطق بهما كلماتك

وانبسطت الابتسامة على شفتي آية الله ، ومد يده فربت في حنان على كتفي

وصاح الرجل الذي كان قد أوصد الباب في وجهي . .
صاح فجأة دون مقدمات، وبصوت جهوري وهو يرفع يديه إلى الأمام،
— بريء والله أخونا المسلم !
ونظرت إليه في ذهول وهمست:
— وهل كان أخوكم المسلم متهماً ؟!

ولكزني أحد الجالسين بجانبي، وكان يبدي لي وداً طوال الجلسة وهمس :
— لا تقل شيئاً، وارفع الشكر إلى السماء أن جاءت النتيجة هكذا !!
وهتف آية الله هذه المرة نيابة وربت على كتفي وهو يقول: الحمد لله

وفجأة انطلقت وراءه أكثر من مائة حنجرة تصيح: الحمد لله
ونظرت حولي، وكانت الصيحات المنطلقة من الذقون، تتأرجح وسط السمر الكثيف في ود وحنان !!

٥ — أهم من قابلهم بعد هتلر

وكان لقائي الثالث مع آية الله يوم ذهبت لمقابلته، الصحفي الإنجليزي اللامع الصيت «سيفتون ديلمر» كبير مراسلي جريدة الديلي اكسبريس

وكان آية الله قد رفض مقابلة سيفتون لأنه «انجليزي كلب»، ولكن «ديلمر» ثابر وجاهد حتى قابل آية الله

وكان منظر الانجليزي البدين المرح وهو جالس على ركبتيه أمام «آية الله كاشاني» منظراً مثيراً مدهشاً

وفي أول المقابلة كان «آية الله» مشغولاً عن «ديلمر» بحديث تليفوني مع الجنرال جروزيد رئيس هيئة أركان حرب الجيش الإيراني،

وكان آية الله يقول لرئيس اركان الحرب ، وفي صوته هدوء مشوب بالنفرة الخفية :

- لقد بلغني ان بعض الضباط من خدم رزم آراه السابقين يريدون الاعتداء على حياتي ، وانا آمرك بصفتك رئيسا لهيئة اركان الحرب ان تتخذ الاجراءات لردع امثال هؤلاء الخاطئين ... اني لا اريد ان اتدخل بنفسي لردعهم وانا قادر على ذلك . واترك لك الموقف واطلب منك ان تتحرى ما سوف تفعله !

ووضع آية الله سماعة التليفون مكانها ثم التفت الى دلمر .

وقال آية الله للمترجم الذي سينقل الحديث بينه وبين دلمر

- سوف تنقل اليه ما اقول حرفا بحرف ... افاهم انت ؟

ثم بدأ يوجه الحديث الى دلمر

لقد رفضت ان اقابلك ... لاني لا احب بني قومك !

ونقل المترجم حرفيا

- لقد رفضت ان اقابلك ... لاني لا احب بني قومك !

وواصل آية الله كلامه :

- اني اعتقد ان كل الانجليز كلاب ، ولكن الذين توسطوا لك في مقابلتي قالوا لي انك لست كلبا كبقية الانجليز ، وانك مسلم طيب في امة دينه !

ونقل المترجم حرفيا :

- اني اعتقد ان كل الانجليز كلاب ، ولكن الذين توسطوا لك في مقابلتي قالوا لي انك لست كلبا كباقي الانجليز ، وانك مسلم طيب في امة دينه !

واستمع دلمر في صمت وهدوء وصبر .

ثم تتابعت الاسئلة والاجابات كأنها مسرحية بالرصاص

قال دلمر : ما هو رأيك في رزم آراه ، وفي مصيره ، وفي قاتله !

وابتسم آية الله وقال :

– رزم آرا خائن ، ومقتله عمل مبارك ، وقاتله بطل !

وقال دبلمر : لماذا يحبك الناس أكثر من الشاه ؟

وابتسم آية الله وأدرك أن دبلمر يريد – أو يتوهم كما قال آية الله فيما بعد – أن يحرجه ولكن آية الله قال بهدوء

الناس يحبون من يعمل لصالحهم ومن يخدمونهم ويجاهدون من أجلهم !

واستمرت الأسئلة والإجابات في مجموعة الدروز ساعة كاملة ثم خرج دبلمر يكتب الدس الأمريكي رسالة بدأها هكذا

« ساعدني يارب . . ستعلمون أيها الناس . . . لقد قضيت ساعة محمومة . تحوم فيها مقابلة هي دون شك أهم مقابلة قمت بها منذ عمر من عامة ، ولم يسبق لي أن صادفت لها مثيلا إلا حتى في تلك التي يوم عرض الزعيم الإيطالي – المشهور ! »

ثم أردت أن أودع آية الله قبل عودتي إلى القاهرة ، فذهبت إليه للمرة الرابعة والأخيرة ، وكان في هذه المرة متفائلا وعلى أن أحسب سألني عن الأحوال في مصر ، فقلت له

– إن العلم والصناعة في مصر يسيران بخطوة كبيرة

وقاطعني آية الله وهو يهز رأسه في سرور

نعم هذا .. وعظمة هذا أنهما مبنيان على اجتهاد . وإذا انقطع الناس للعلم والصناعة . فمن جاهد ؟

ثم قال لي بعد قليل :

.. قرأت في « أخبار اليوم » أن في مصر اتجاهاً لتأميم قناة السويس .

وضحك والتفت الى من حوله :

– إني مسرور لأن ما نسمعه عن محمد مصدق مماثلا له في

البلاد الإسلامية

واشار الى ان اقترب منه وبدأ يهمس في اذني

ـ قل لي .. ألا تعرف النحاس باشا ؟

وهمست في اذنه بدوري أسأله : لماذا ؟

وهمس آية الله : لقد أرسلت له عندما تولى الوزارة برقية تهنئة فلم يرد عليها . ثم أرسلت له بعد أسبوعين برقية أخرى هنأته بحاجة مصر الى تأميم قناة السويس ، ولم يرد علي حتى الآن . فهل هي مقصودة ؟

وقطع آية الله همسه حين دخل احد أعوانه يحمل اليه رسالة خطيرة . واستغرق آية الله في قراءتها ثم التفت الي يقول :

ـ ان بعض قطع الاسطول الانجليزي تجوب الخليج الفارسي في تأهب واستعداد . للنزول الى خوزستان . منطقة البترول في الجنوب الغربي . واذا أقدم الانجليز الكلاب على هذا فانهم سيجدون منطقة خوزستان كلها أرضا محترقة بالنار لأني سآمر باحراق آبار البترول اذا قضي الأمر !

ورفع آية الله اصبعه مهددا واستطرد :

ـ اذا كان الانجليز حريصين على ان يروا جهنم في الدنيا ، فعسى ان يرحمهم الله منها في الآخرة فليرسلوا كل واحدا من جنودهم في خوزستان !!

وكان ذلك آخر ما سمعته من آية الله كاشاني !!



الفصل الخامس

ما تزرعه الرياح تحصده العواصف
« حكمة شعبية »

الملك يرشح والشعب يختار — من يرشح وزراء — أسرته تتدخل — كلهم غير صالحين — وجهه نصر اسمى — الدستوريون — ثورة مسعد — استاذ في الجامعة — ٥٣ شابا في السجن — جعفر بيشهوري — جمهورية في الشمال — نشاط تحت الأرض — أقوى الأحزاب في طهران

١ - ضجة في مجلس النواب

وهكذا كان آية الله كاشاني سيد الموقف في طهران لمدة أيام بعد مصرع الرجل القوي — رزم آراء

كان وحده القوة ، وكان وحده السلطة وكان أبرز مظهر من مظاهر قوته أن ايران لا تزال بلا وزارة لسبب واحد هو أن آية الله — الزعيم الديني — لم يسبغ رضاه السامي على واحد من الذين رشحهم الامبراطور لرئاسة الوزارة !

ولقد قام الامبراطور بعدة محاولات للسيطرة على الموقف وعلى الأقل بتهدئة حدته ، وكان الامبراطور يدرك أن الخطوة الأولى هي أن تكون لايران وزارة ورئيس وزراء ، ولكن آية الله وقف في الطريق !

وأراد جلالة الشاه بادىء الأمر أن يختصر الاجراءات لسرعة حل الأزمة فاستقر رأيه على أن يعين السيد خليل فهيمي — الذي كان وزيرا للدولة في وزارة رزم آراء — والذي كان قائما بأعباء منصب نائب رئيس الوزراء بتكليف الشاه رئيسا للوزراء .

والملك بنص الدستور الايراني لا يمكن أن يأمر أحدا بتشكيل الوزارة الا اذا رضي البرلمان . والعادة أن يرشح الملك — مجرد مرشح — من يراه كفئا للرئاسة ويطلب منه أن يتوجه الى البرلمان ويعرض نفسه على النواب فان وافقوا خرج المرشح من البرلمان ليؤلف وزارته ، واذا لم يوافقوا فعلى صاحب الجلالة أن يبحث عن مرشح آخر

ودخل السيد فهيمي دار البرلمان مرشحا من جلالة الشاه لرئاسة الوزارة ، وكانت جلسة عجيبة !

كانت هذه أول جلسة يعقدها المجلس بعد مقتل رزم آراء ،
وبرئاسة السردار فاخر حكمت رئيس المجلس [illegible] بدأ الجلسة
بكلمة رثاء لرئيس الوزراء الذي قتل

وكان الجو مشحونا بالحذر [illegible] ووقف السردار فاخر حكمت يتكلم
وسط الصمت الرهيب الذي ساد ذلك الاجتماع التاريخي
للمجلس ، وارتفع صوته يقول في [illegible] وهدوء :

« لابد أن حضرات الأعضاء المحترمين قد تتبعوا الموقف ،
والأحداث المحزنة التي ترتبت عليه ، [illegible] »

ولم يمض السردار فاخر حكمت في كلمته [illegible]
صاح هائمي :

« نحيا باسم الشعب [illegible] »

ثم سكتت الأصوات بعد [illegible] في مجلس الأمة
[illegible] عن الجنرال على رزم آراء رئيس الوزراء .

واضطر السردار فاخر حكمت [illegible] ووقف
الدكتور محمد مصدق رئيس لجنة الوطنية ، الذي أصبح فيما
بعد رئيسا لوزراء إيران — يقول :

— ما هذا الكلام الذي لا معنى له [illegible]
يا حضرة الرئيس [illegible]
ومرة ثانية انفجر المجلس [illegible] واستمرت العاصفة عدة
دقائق متوالية

ثم هدأت الضجة ووقف السيد خليل فهيمي نائب رئيس
الوزراء ، ومرشح السلطة لتشكيل الوزارة ، وأنا أنقل هنا حرفا
حرفا ، عن السجل الرسمي لهذه الجلسة ، تفصيلات ما وقع
بعد ذلك

السيد خليل فهيمي — نائب رئيس الوزراء — طلب الكلمة

وانتقل الى المنبر

«لقد ارسلتني الحضرة الشاهانية الى هنا لالتمس منكم حتى انهض بمهمة تأليف الوزارة رغبة من جلالته الشاه في انهاء الازمة السيئة التي تترتب على بقاء ايران بلا وزارة في هذا الظرف العصيب

— ضجيج من النواب . من اليمين ومن اليسار

هتاف : لا نقبل .. لا نقبل

— اصوات مختلفة : كيف نقول انه يريد نصب شخص لكي يؤلف الوزارة ؟ هل صدر اليه امر بتأليفها . نحن لا نوافق — هذا اعتداء على سلطة الامة

الضجة تشتد — سعادة رئيس المجلس يأمر برفع الجلسة لمدة ربع ساعة)

وبعد نصف ساعة استؤنفت الجلسة من جديد ، ومرة ثانية اعلن هنا ما دار حرفيا في المحل الرسمي للجلسة

بدأ الرئيس السردار حكمت بتحرير الكلام موجها الى النواب

« لقد طلب الي ابلاغ المجلس الموقر ان الحضرة الشاهانية تعرض على حضراتكم ثلاثة اسماء ترشحهم لتأليف الوزارة ولحضراتكم الرأي الاول والاخير فمن ترونه يصلح من بينهم للقيام بهذه المهمة »

تلا الرئيس اسماء :

السيد حسين مهيمي نائب رئيس الوزراء

السيد علي سهيلي سفير ايران في لندن

السيد حسين علاء وزير البلاط الملكي

فوقف الاشتياني زاده من نواب الكتلة الوطنية وطلب الكلمة — فاجابه الرئيس ، فاتجه الى المنبر وبدا كلامه :

« أيها الزملاء المحترمون

إذا كنا قد آمنا بالنظام الملكي فمعنى ذلك من أجل شخص صاحب الجلالة الشاهنشاه محمد رضا بهلوي .

لقد آمنا بهذا النظام لأسباب متعلقة بالظروف السياسية والوضع الجغرافي لهذه البلاد .

ولكن يجب أن نشهد أن حكم إيران يجب أن يكون لنا وحدنا ، أي نحن نواب الأمة فقط ، – ولا أحد سوانا – أي نعين رئيس الوزراء ، ويفهم صاحب الجلالة الشاهنشاه أن بقاءه على عرشه رهين باتباعه لأحكام الدستور .

إننا نحن الذين نعرف مصالح الأمة ونحن المسئولون عن توجيه مستقبلها ، ولذلك فإن الأمير [illegible] وهو غير مسئول يجب أن يمتنع عن التدخل في شئون السياسة .

ثم إن الملك فرد ، والأمراء يخضعون لتأثير من حولهم ، ونحن لا نضمن عدم تأثر الحضرة العلية بآراء إخوته وأخواته ولا نعرف من غيرهم !

ولقد حلف الشاه بقانون إيران الدستوري لما عرض [illegible] بعدم آراء فرصة – والنتيجة أن تشهد إيران عهداً لا نظير له من الشقاء »

النائب أسدي زاده يتابع كلامه .

« وتدخل الأجانب في شئوننا »

النائب [illegible] زاده يتابع كلامه :

« لا يعني أنني من الملك أن يعرض علينا شخصاً بعينه لرئاسة الوزارة ، بل ولا يعني منه أن يضع أمامنا ثلاثة أسماء لكي نختار من بينها واحداً نكل إليه شرف تأليف الوزارة . وإلا فماذا يحدث لو أننا رفضنا الأسماء الثلاثة التي يعرضها الشاه ، ألا يضطر

هذا اهانة لقدرة الملك على حسب رؤساء الوزارة ! »

(ضجة وهتاف)

ونهض محمود نريمان يتجه الى الرئيس السردار حكمت فاخر ويقول له :

ـ يجب ان تدخل الآن وتطلب مقابلة الشاه وتسمية هذا النائب الدكتور محمد مصدق ووجه الكلام رئيس المجلس

ـ (انصروا حكومتكم يا نواب الامة ونحن اصحاب الكلمة العليا)

وانفض المجلس بعد اربع ساعات حامية ..

ورفض المجلس ان يوافق على تعيين خليل فهيمي رئيسا للوزارة وكانت ابرز الاعتراضات ضده ما يلي :

١ ـ انه كان وزيرا للدولة في وزارة رزم آرا الخائن

٢ ـ انه حاول الدفاع عن رزم آرا بعد مقتله

٣ ـ ان ميوله ضد التأميم

ورفض المجلس اسم السيد علي سهيلي سفير ايران في لندن بسبب واحد قاله النواب صراحة، هو انه صديق الاميرة اشرف شقيقة جلالة الشاه، وانها هي التي رشحته للوزارة

وقبل ان يمضي المجلس في مناقشة صلاحية السيد حسين علاء، فان الرئيس السردار حكمت فاجأ موجها الكلام لاعضاء المجلس :

ـ لقد عرفت الآن ان السيد حسين علاء قد اعتذر لجلالة الشاه وطلب ان يرفع اسمه من قائمة المرشحين للوزارة

وقام بعض الاعضاء يقولون :

« انهم مع احترامهم للسيد حسين علاء وتقديرهم لاخلاقه واستقامته الا انهم يرون ان رئاسة الوزارة في هذه الظروف

قد لا تكون مهمة مريحة للسيد علاء لانه :

١ ـ يشكو قرحة في معدته
٢ ـ قضى سنى دراسته في انجلترا
٣ ـ اشتغل بالمحاماة في انجلترا
٤ ـ التحق بوظائف السلك السياسي ممثلا لبلاده في الخارج
٥ ـ لا يستطيع ان يتكلم او يحفظ باللغة الايرانية بطلاقة وانعقد اجتماع المجلس !!

٢ ـ شعاع احمر على الموقف في طهران

وظلت ايران بلا وزارة مدة عشرة ايام !

عشرة ايام كاملة مليئة بالاحتمالات والاحداث، والازمات ، والمؤامرات ، وفي هذه الايام العشرة كانت المياه المندفعة من الثلوج الذائبة على قمم الجبال المحيطة بطهران قد عادت معها بتطورات خطيرة

كان حزب توده الشيوعي قد استغل الفرصة ، فرصة الازمة ، وفرصة المؤامرات ، وفرصة الذعر الذي اشاعه فدائيان اسلام ، وفرصة الفوضى التي خرجت ترعى طهران وتحكم وتأمر فيها ، فبرز كعامل قوى في الميدان

والذي لا شك فيه ان حزب توده الشيوعي لم يلعب دورا ظاهرا ـ على الاقل ـ في ازمة باسم البترول ، وكان يصعد كل اسعد من اعمال ورم آراء ، ومن ارهاب فدائيان اسلام ، ولم يكن يملك قوة تسيطر في طهران يوم كان آية الله كاشانى يقدم الى شوارع العاصمة بالمظاهرة تلو المظاهرة !

كان حزب توده قوة صحيحة من هذا كله ، وكان اقوى

الاحزاب دون شك ، وأكثرها نظاما ، ورغم انه كان منحلا بحكم القانون . ولكن هذا لا يمنع من التأكد بأن توده لم يكن من سبب اثارة [illegible] وما ترتب عليها من مقتل رزم آرا .

بل — وهذه حقيقة غريبة — كان حزب توده بين ايدي موجهوا مقتل رزم آراء .

ولكنه لم يترك الفرصة تفلت

فاذا هو يجند كل قواه لتسخير الازمة في اغراضه ، وتوجيه تطوراتها الى الاتجاه الذي يريده .

وثمة شيء هام أحب أن أسجله

لقد أحس آية الله كاشاني — وأحس نواب الكتلة الوطنية معه — وهم جميعا من المتدينين المعروفين ، احسوا بعد ثلاثة ايام من الازمة — ازمة مقتل رزم آرا — أن حزب توده الشيوعي يحفر ويتحرك بسرعة لاستغلال الموقف والسيطرة عليه ، ولكن آية الله كاشاني ونواب الكتلة الوطنية — والشعب كله — كانوا يعلقون كلمة العواقب على كفة المساوم . ويبدو لي مما سمعته من آرائهم أن وجهة نظرهم تتلخص فيما يلي

١ — تحاشي الاحتكاك علنا بحزب توده مادام يسعى — في الوقت الحاضر — الى نفس الاغراض التي يسعى اليها آية الله كاشاني والكتلة الوطنية

٢ — السيطرة على الموقف بسرعة

٣ — الالتفات بعد ذلك الى حزب توده وتوجيه ضربة قاصية له

ولكن ... كما قلت ، كان آية الله كاشاني ونواب الكتلة الوطنية ، والشعب كله ، متفائلين أكثر مما ينبغي .

والنتيجة — بعد أسبوع واحد — أن مراسلي صحف العالم

المكدسين في فندق رسري في طهران – والذين كتبوا لجرائدهم ب آية الله كاشاني هو سيد الموقف – عادوا – بعد أسبوع واحد – يكتبون ويؤكدون أن السيادة على الموقف ستنتقل بسرعة إلى أيدي حزب تودة

وكان حزب تودة يستعد للفرصة التي كافح وصبر ، وتحمل كل شيء من أجلها منذ أكثر من عشرين سنة !!

٢ – النبي الأحمر في الجامعة

عشرون سنة قضاها حزب تودة يستعد ، ويكافح ويصبر ويقاسي !

لقد بدأت قصة حزب تودة مع بداية سنة ١٩٢ على وجه التقريب ، وكان الدكتور آراني أستاذ الكيمياء في جامعة طهران هو الرجل الذي شاء له القدر أن يكتب السطور الأولى في القصة ، وكتب الدكتور آراني السطور بحماسة هو

كان يدرس الكيمياء في برلين ، وفي هذه الفترة اتصل بالحزب الشيوعي الألماني الذي كان قويا قبل أن يحكم هتلر أمور ألمانيا ، وعاد الدكتور آراني بشهادة الكيمياء ظاهرة في يده ، وبعقيدة الشيوعية مستترة في صدره .

وعين أستاذا للكيمياء في جامعة طهران ، ولكن دروسه عن الكيمياء كانت أقل بكثير من دروسه عن الشيوعية !

ثم ازداد نشاطه ، وخرجت دعوته من الهمس بين تلاميذه إلى الجهر والعلن ، فقد بدأ يصدر جريدة اسمها « دنيا » تنطق بلسان الدعوة الجديدة ، وأخذ يعقد في بيته اجتماعات دورية يحضرها عدد من شباب أساتذة الجامعة

. وطلابها

وكان لابد لنشاط الدكتور آراني واصدقائه ان يلفت الـ
نظر شرطة طهران في ذلك الوقت وهو الجنرال مختاري رئيس البوليس السياسي في عهد السيد رضا بهلوي

وذات صباح تغيب الدكتور آراني عن محاضرته الاستاذية في جامعة طهران

•

ثم عرف ان البوليس السياسي قد القى القبض عليه واودعه في السجن . ومرت بضعة شهور ، ثم صدر في طهران بلاغ رسمي يقول « ان الدكتور آراني قد توفي في سجنه بداء التيفوس »

ورفض انصاره وتلاميذه ان يصدقوا ، ودارت الاشاعات عن سبب وفاته ، وبين الاشاعات ان السيد رضا بهلوي قد امر طبيبه الخاص بحقن الدكتور آراني بالسم لينهي اذاه ويئد الدعوة التي يبشر بها !

ودفن الدكتور آراني في مقابر « امام زاده عبد الله » .. ولكن القصة لم تنته !

لقد حفظ له انصاره وتلاميذه اسطورة استشهاد بديعة ، ورأى الشاه رضا بهلوي - بتدبير الجنرال مختاري - ان الامر يقتضي مزيدا من الحزم ، فصدرت الاوامر بالقاء القبض على عدد من تلاميذ آراني بلغ ٣٥ شابا من صفوة المتعلمين المثقفين

وظلوا في السجن سنوات مضنية . ثم تطورت الاحوال ، ودخل الحلفاء - الروس من الشمال ، والانجليز من الجنوب - الى ايران سنة ١٩٤١ وعزل الشاه رضا بهلوي عن العرش لابنه ، وكان اول شيء فعله الروس في ايران هو فتح باب السجون امام الاثنين والخمسين شابا من تلاميذ آراني .. الذين خرجوا من السجون ليؤلفوا حزب توده اي حزب الشعب

وكانت الانتخابات على الابواب . والجيش الروسي يرابط في طهران ، وهكذا حصل حزب توده على خمسة مقاعد في مجلس النواب الرابع عشر

ثم طرأت مشكلة !

كان بين النواب الخمسة الفائزين واحد اسمه : جعفر بيشاوري . وقد نجح عن دائرة اذربيجان الشمالية ، ولكن مجلس النواب تلقى طعناً في صحة نيابة جعفر بيشاوري على اساس انه من مواليد باطوم عاصمة [illegible] الروسي ، والذي [illegible] جنسيته الايرانية موضع شك !

واصر مجلس النواب ، وكان جيش الروسي كثيرة من حشود الجيش [illegible] من طهران — على رفض العضو المقدم باسم جعفر بيشاوري . ولكن جعفر بيشاوري لم يستسلم للامر الواقع . فغادر طهران الى تبريز عاصمة اذربيجان حيث الف الحزب الديمقراطي على طرد الحاكم الايراني المعين من حكومة طهران واعلن قيام جمهورية شعبية ديمقراطية في ولاية اذربيجان !

واكثر من هذا اعلن جعفر بيشاوري انه يعد نفسه للزحف على طهران !

ولم تتحقق احلام جعفر بيشاوري في طهران بل ضاع كيانه في تبريز نفسها وسقطت الجمهورية الشعبية الديمقراطية لان موسكو لم تكن يوماً [illegible] بها اولا ، ولانها حصلت على وعد من قوام السلطنة رئيس وزراء ايران بان يعطيها امتيازاً بحق التنقيب عن البترول في الشمال ثانياً ، وبالتالي واخيراً لان الجيش الايراني [illegible] بدأ يوجه الى الثوار ضربات ساحقة !

وفر جعفر بيشاوري الى موسكو ولم يسمع عنه شيء من

يومها ، أما الجمهورية الشعبية الديمقراطية فقد تحولت الى انقاض !

وفي الانتخابات النيابية ، انتخابات المجلس النيابي الخامس عشر ، لم ينجح نائب واحد من حزب توده ؛ ولكن الحزب كان في طهران يباشر نشاطه وكفاحه كأن لم يحدث شيء .

كان نادي توده في شارع الفردوسي يغص بالناس

وكانت جرائد توده الثلاث في كل الايدي : « سوى آينده » — اى نحو المستقبل — كل صباح ، و« مصلحت » — اى المصلحة — كل مساء ، و« راهبر » — اى السبيل — كل اسبوع

وكانت نقابات العمال — اتحادي اصناف — تعمل كلها تحت امرة توده وتتلقى منه الاشارة والتوجيه

ونظم توده مرة مؤتمرا عاما دوليا للعمال — وعقد المؤتمر تحت رئاسة زعيم العمال الفرنسي — وحضره ممثلون من نقابات العمال الاوروبية ، وخطب فيه مصطفى العريس رئيس نقابات العمال في لبنان ، وحضره اكثر من خمسين الف شخص من طهران !

ثم جاءت محاولة الاعتداء على جلالة الشاه في جامعة طهران . حيث بدأت حركة توده . وكان المعتدي مير فخرائي ، قد تنكر في زي مصور صحفي واخفى مسدسه تحت آلة التصوير ثم اطلق الرصاص على الشاه . وكان مير فخرائي عضوا في حزب توده . وانهال حراس الشاه على الشاب فمزقوا جسمه برصاص مسدساتهم ، وانقضت الحكومة على حزب توده تنكل به وتمحو وجوده من ايران !

صدر امر بحل حزب توده ، وامر آخر باغلاق جميع صحفه وجميع نواديه ، وفر من زعماء الحزب من استطاع الفرار .

وقبض على الذين لم تسعفهم الظروف بوسيلة يغادرون بها طهران . وكان بين الذين فروا من زعماء حزب تودة ، الدكتور كيشاورز الاستاذ في جامعة طهــــران وهو وزير ســـابق للمعارف ، والسيد ايرج اسكندري وكان ذات مرة وزيرا للتجارة .

وبين الذين قبض عليهــــم الدكتور محمد يزدي استـــاذ الطب في جامعة طهران وكان فيما مضى وزيرا للصحة والدكتور جودت استاذ الصوت العمـــلي في جامعة طهران !


اقرأ
آخر لحظة
يوم الجمعة
من كل أسبوع

الفصل السادس

« نحن الذين نصنع الفساد ،
والفساد هو الذى يقتلنا ! »

انتونى ايدن

الجانب القوى ـ الولايات المتحدة بالنسبة ـ
القوى العظمى التى تصنع الرجال
لحساب حزب توده ... .
الخبراء يطردون ـ مادام السوفييت يخاف ـ
التحرك الخفى ـ تعهدات فى ظلمة الجمعية
الساعة الأخيرة ـ حسين علاء يؤلف الوزارة ـ
طهران تحت الحكم العسكرى .

١ — كلهم يعملون لتودة دون أن يشعروا

انتهى الوجود الرسمي اذن لحزب توده بعد قرار حله، ومصادرة صحفه، واغلاق نواديه، ولكن وجوده الفعلي كان اقوى من ان تصادره القوانين والاوامر، وكل الذي حدث ان الحزب نقل مجال عمله الى الخفاء، واتجه بكل همة ونشاط ليستعيد من كل الظروف.

وكما قال لي امريكي مسئول في طهران

« المضحك ان الحزب الوحيد الذي ليس له وجود شرعي وقانوني في ايران، هو الحزب الوحيد الذي له وجود فعلي وحقيقي في كل ارجائها »

واذكر انني قلت لهذا الامريكي المسئول

— ولكن اما تصنعون شيئا لمواجهة الموقف، لقد كنت وانا في القاهرة اتصور ان ايران تسبح في بحر من الدولارات الامريكية، وتختنق بانواع من المساعدة الامريكية، وتضج بالعتاد والاسلحة الامريكية، ولقد دهشت لما جئت الى طهران لاكتشف ان المعونة التي حصلت عليها ايران منكم هي بضعة ملايين دولار فقط، لا اكثر ولا اقل

وهز الامريكي المسئول رأسه في أسى وقال:

— يظهر اننا جئنا بعد فوات الاوان

ثم مضى في حيرة:

— انا هنا نعيش في الغاز ولا نعرف رجلا واحدا نستطيع ان نتحدث معه، ويبدو ان الرجال هنا يعتمدون على ظروف غامضة ترفعهم فجأة ثم تهوى بهم بنفس السرعة التي ارتفعوا بها، وليس

هنا أحزاب نستطيع أن نتحاور معها . ولما جئت الى هنا لم نجد —
كما ترى — إلا حزبا واحدا منظما قويا هو حزب تودة ، ولقد حلت
الحكومة هذا الحزب والغت وجوده رسميا ولكن — وكما ترى أيضا —
كل شيء هنا يساعد حزب تودة ، ويمنحه قوة فوق قوته ، ويعطيه
حجة جديدة على صواب ما يذهب اليه

ورفع الأمريكي المسئول يده الى السماء يائسا وقال

— كل ما في طهران مع الأسف يساعد حزب تودة ، بل — أقولها
في صراحة — يعمل لحساب حزب تودة !

وكان الأمر الواقع في شوارع طهران يؤيد الى أقصى الحدود
— هذا الذي يقوله الأمريكي المسئول

لحساب حزب تودة مثلا شباب ايران الذي لا يجد زعماء
يتصلون به ، ولا تشكيلات تضم شبابه ، ولا منظمات تجمع نشاطه ،
الا زعماء وتشكيلات ومنظمات تودة !

ولحسابه أيضا شباب موظفي الحكومة . وهم في ايران قرابة
مائة ألف . يعيشون في ظروف غلاء مرير ، وتتأخر مرتباتهم
بالشهرين وبالثلاثة ولا يهتم بهم أحد ولحسابه كل هؤلاء الفلاحين
المعدمين الذين لا يملكون شيئا ، الذين ذاقوا عذاب عبودية الأرض
التي يعيشون عليها ملكا لسادة الاقطاعيين من أفراد العشرين
أسرة التي تملك معظم أراضي ايران . ولحسابه ما تقوله الاحصائيات
من أن ٨٠ في المائة من سكان ايران لا يجدون مقومات القوت الضروري
لاستمرار حياتهم !

والفساد المتفشي في كل ناحية . . .

في مجلس النواب تحدث بعض النواب وراء الأغراض
الشخصية ، فمنهم من يعيشون على حساب سياسة يوجهونها
ومنهم من يتقاضون مرتبات من بعض الوزراء ، ويوجد نواب لا

مركوب مصر وعابدين الا اذا كان لهم منه فائدة شخصية مباشرة ، ونواب لا يؤيدون الوزارات الا اذا كانوا هم انفسهم بين الوزراء !

وفي الاداة الحكومية حيث اصبحت كلمة روسمى — اي المرسوم — اوسع الكلمات انتشارا واستعمالا . وحيث صح من القواعد المقررة ان كل موظف كبير لا يحرر شيئا الا اذا فتح امامه مقدما منه درج الموظف الكبير واسقط فيه مبلغ ورقات من ذات المائة تومان ، وحيث يوجد اعلان على حائط الحكومة التي لا تدفع مرتبات موظفيها . وحيث لا يشكو الا صغار الموظفين الذين لا يملكون من السلطان ما يجعل لذممهم سعرا ملائما في سوق الذمم والضمائر

وفي حاشية الشاه حيث يوجد بين افرادها من لا يعمل الا لمصلحته الخاصة . ومن لا يهمه ان يربح باسم الشاه في كل صفقة ويقبض عمولته ، ومن يستغل نفوذه .. ومن يرتشي علنا . وعلى الشاه المسكين ان يدفع الثمن من سمعته وسمعة وحب رعاياه له

هذا الفساد المتفشي في كل ناحية .. لحساب من هو ان لم يكن لحساب تودة !

ولحساب تودة انه ليس لايران سياسة ثابتة في اي ناحية من نواحي الانتاج ، وقد قال لي رئيس وزراء سابق في طهران

خذ مثلا البترول ، ان ايران من اكثر البلاد المنتجة للبترول في العالم ، وكان يجب ان يكون البترول متوافرا يسكب بسعر معقول يوازي على الاقل سعره في باقي بلاد العالم ، ومع ذلك فان صفيحة البنزين التي تباع في البلاد كلها تقريبا بين خمسة تومانات — اي حوالي الستين قرشا مصريا — تباع في ايران الصفيحة للبترول بمبلغ عشرة تومانات . اي ضعف سعرها في البلاد الاخرى التي ليست بين منتجي البترول !

ومضى رئيس الوزراء السابق يقول
ولست شركة البترول هي المسؤولة عن ذلك [illegible]
[illegible] الشركة [illegible] للبترول بحكومة الايرانية [illegible] تومان
واحد [illegible] . اما العرق . وهو [illegible] الحكومة [illegible]
[illegible] عن الصفحة الواحدة ..

وغير البترول باقي مرافق الانتاج

وحدث مثلا ان [illegible] ايران [illegible] تضاعف
[illegible] الانتاج . ثم [illegible] والمشروع [illegible] امام المجلس ان
[illegible] المطامع استحقت دورها فاذا المبلغ [illegible]
[illegible] في دائرة [illegible]
[illegible] والمشروع [illegible] السبع [illegible]
[illegible] الاجانب [illegible] اسندوا للاشراف على المشروع [illegible]
[illegible] ان لا احد [illegible]
[illegible] ثم [illegible] بقرار [illegible] بالاستغناء عنهم
جميعا مرة واحدة وبلا سابق انذار
[illegible] الحساب [illegible] كل هذا [illegible] الذي [illegible] في نفوس

الناس ضد كل ساسة ايران

اصبح كل الساسة [illegible] وجوههم [illegible]
[illegible] ظهر سياسي واحد لا [illegible] عنه [illegible]
[illegible] الكتلة الوطنية [illegible]
الدكتور محمد مصدق رئيس الوزارة الآن .
وبعد [illegible] تحدثت مع احد الشبان الايرانيين [illegible] عن
الدكتور محمد مصدق [illegible] الشاب الايراني [illegible]
امتعاضا وهو يقول :
— خذ مثلا .. هذا الدكتور مصدق نفسه ، انه [illegible]

لا تهمه الا مصلحته الشخصية ..

انه مليونير ، وعدو لدود للشيوعية ، ومع ذلك يؤجر بيته لاحدى المؤسسات الشيوعية بخمسة آلاف تومان في الشهر .

وكان عدوا لدودا لرزم آراه بينما كان ابنه مهندس مصدق وكيلا لوزارة المواصلات ، وقد حدث حينما عرض عليه السيد حسين علاء ان يدخل معه الوزارة ان اعتذر ، ولكنه لم ينس ان يرشح ابنه مهندس مصدق الذي دخل مع حسين علاء وزيرا للمواصلات .

بل ان حدود الشك والريب جاوزت الاشخاص في طهران الى القضايا العامة نفسها ، وفي احرج اللحظات التي مرت بأزمته باسم البترول لم يكن لدى المثيرة في الشوارع ، المارة العاديين ، من تعليق على مسألة التأميم الا كلمة

« ميجن نفت ملى شود »

اي يقولون ان البترول سيؤمم ، وكلمة « يقولون » مشبعة بمعاني الشك والريبة !.

٢ – المارشال الاحمر في الكرملين

وجاءت الحوادث الاخيرة لتكون قوة دافعة لتوده .

فان حملة الارهاب التي شنتها فدائيان اسلام ، وجرأتها وعجز البوليس امامها كانت بمثابة استعداد حزب توده الى اقصى الحدود .

وفي تلك الايام العشرة العصيبة التي كانت ايران فيها بلا وزارة نظم حزب توده اكثر من سبع مظاهرات في ميدان بهارستان – اي ارض البرلمان – ووقف خطباء حزب توده امام الميكروفونات

يهدرون ويصرخون . . بينما تذيع محطة طهران بيان حكيدا
بوسمي طهران تمنع المظاهرات وتكرر اذاعته مرة كل ربع ساعة .

وفي هذه الأيام المتوترة ايضا بدا النور الاحمر فوق طهران يزداد سطوعا

فصحف تسودة أخرى كانت تصدر تحت اسماء مختلفة خرجت صريحة سافرة ، تطلب أن تعود الى الحرب كتابه القديم

وخرجت هذه الصحف أيضا تحمل عناوين تعلن عن ايران الكـ محمد بين بهار ، كلها من ألفاظ مسعرة حمراء ، ومحمد بين بهار أندي بقوبه بملك الشعراء في ايران ويدلي كل ذلك مرة ودورا للمعارف من علاء المتحمسين للشيوعية .

واضطرت ادارة جامعة طهران أن تسكت الاساتذة ابرار د بانهم ليسوا من انصار الشيوعية ولا من أعضاء حزب توده

ورغم هذه الاجراءات فقد كان من الواضح أن ٩ في المائة من طلبة جامعة طهران . بل ومن اساتذتها ايضا من انصار حزب توده

وكانت سلطات الامن في طهران قد منعت عرض فيلم اسمه « الصقر في الصين » في دور السينما في طهران ، وهو فيلم روسي يصور كفاح الزعيم الصيني الشيوعي « ماو تسي تونج »

ولكن الفيلم عرض برغم أنف سلطات الأمن في طهران فقد أقامت « جمعية السلام » وهي تهدف — كما يقولون — الى تقوية الروابط الفكرية بين ايران وبين الاتحاد السوفيتي حفل عرض فيلم الصقر في الصين في قاعة العرض الخاصة بدارها واعلنت انها ستتيح مشاهدة الفيلم من يريد ، ولم تستطع سلطات الأمن أن تتدخل لمنع عرض الفيلم ، ولا استطاعت أن تتدخل ايضا لمنع الآلاف من شباب طهران . و ... تلك الا..

الفترة العصيبة — من الدخول الى قاعة العرش !

ثم تلقى الأمن ضربة قوية جديدة بعد قتل الدكتور عبد الحميد زنجانة عميد كلية الحقوق في [illegible] الجامعة ،
وكان ذلك حائلا منعه الدكتور زنجانة من دخول كلية الحقوق، ولم يمض القاتل في سرور جريمته أكثر من وصفه للدكتور زنجانة بأنه كان كلبا خائنا !

وكانت الطامة الكبرى بعد ذلك بيانا أصدرته فدائيان اسلام يحرض فيه شبان ايران بأن لا يقدموا على القتل لأسباب شخصية حتى لا يكون في هذا تشويه لجلال القتل في سبيل الأهداف العامة

وهكذا — في نهاية تلك الأيام العصيبة الخطيرة التي عاشتها ايران بلا وزارة — كان كل المراقبين المحايدين في عاصمة ايران — سواء من مراسلي صحف العالم المكدسين في فنادق وسط في طهران — أو من الدبلوماسيين الأجانب الذين يملأون مكاتب دور السفارات والمفوضيات فيها ، يرددون عبارة واحدة

— لو سارت الأمور على هذا النحو فان ستالين مارشال الكرملين الأحمر ، لن يكون في حاجة الى أن يرسل جحافل جيوشه عبر القوقاز لتحتل ايران

" سوف تصبح ايران دولة حمراء دون تدخل جيش ستالين الأحمر !

٢ — حسين علاء يؤلف الوزارة

وهكذا بعد عشرة أيام بلا وزارة انتقلت السيطرة على الموقف من اليمين المتطرف الى اليسار المتطرف !

وكان هذا التطور الخطير واضحا كل الوضوح في طهران .
وهناك حقيقة لا شك فيها هي ان وزارة السيد حسين علاء
لم تتألف الا تحت ضغط الاحساس بالخطر الجديد ، وامام
شعور الشاه بان الموقف يكاد يفلت من يده ، ويصبح زمام
الحوادث بين اصابع اليسار !

ولم يكن المفروض ان يؤلف حسين علاء الوزارة الايرانية
الجديدة ، وانما كان الاتجاه العام كله يرشح للمسؤولية الخطيرة
احد رجلين

اولهما السيد احمد قوام السلطنة

والثاني السيد ضياء الدين الطباطبائي

وكان الاجماع منعقدا على ان الموقف لن يحله الا واحد منهما
وكان لكل منهما سجل حافل :

فاحمد قوام السلطنة ثعلب ايران كما يسمونه — هو الرجل
الذي استطاع ان يضحك على ستالين ، او هكذا يقولون عنه
في ايران

لقد سافر الى موسكو سنة ١٩٤٧ وطلب من ستالين ان
يتخلى عن حكومة جعفر بيشاوري الشيوعية في الشمال مقابل
وعد منه بان يحمل مجلس النواب الايراني على منح الروس
امتيازا لاستغلال بترول ايران

ووقع ستالين في الشرك — هكذا يقول انصار قوام السلطنة
وتخلى عن حكومة جعفر بيشاوري في الوقت الذي كان
قوام السلطنة فيه يؤلب كل الاصوات في مجلس النواب الايراني
لن يوافق على الامتياز المقترح لروسيا !

وقوام السلطنة ايضا سليل اسرة من اكبر اسر ايران ،
وواحد من كبار الملاك فيها ، وخبير ممتاز باسرار السياسة

الايرانيه ، وأكثر من هذا ، سياسي ماهر بارع في شراء ذمم اكبر مجموعة من اعضاء المجلس !

ولكن الشاه كان ممتعضا من اسم قوام السلطنه برغم انه تولى رئاسة الوزارة ١٢ مرة !

ووجهة نظر الشاه تتلخص في أن قوام السلطنه بعد أن عقد اتفاق موسكو ، وبعد ان خلص ولاية اذربيجان الايرانيه من براثن الروس بوسائله الدبلوماسيه أصيبت نفسه من الغرور لا شفاء له منها .

كان يعتقد انه اعرق من الشاه حسبا ونسبا ، وانه اقوى منه نفوذا ، وان الامر يجب ان يكون امره والكلمة كلمته

ولم يطق الشاه ان يرى ملكا آخر في طهران فعزل قوام السلطنه من رئاسة الوزارة ، وخرج قوام السلطنه من قصر جولستان ـ رئاسة الوزارة الايرانيه ـ ليدبر مؤامراته ضد قصر المرمر ـ قصر الشاه ـ واحس الشاه بمؤامراته فقرر ان يقبض عليه ، ولكن بعض اصدقاء الشاه ، وبعض كبار الانجليز ، تدخلوا في الأمر فقرر الشاه عوضا ان يخرج قوام السلطنه من ايران ، فخرج وسافر الى باريس ، وبدأت صحف ايران تنشر له خطابات مفتوحة موجهة الى جلالة الشاه ، يتهمه فيها بأنه معتدي على الدستور !

وبلغ من حنق الشاه بتصرفات قوام السلطنه ان امر بنزع اسمه من شارع كان قد اطلق عليه بعد خدمته المشهورة لستالين . وأراد الشاه ان يمعن في نكايته فأمر ان يطلق على الشارع اسم « خيابان ـ سابق » أي شارع سابق !!

والسيد ضياء الدين الطباطبائي ـ المرشح الثاني ـ قصته

فريدة في سياسة الشرق .. فقد سبق أن تولى الوزارة حين كان عمره ٢٧ سنة !!

ولقد بدأ السيد ضياء الدين حياته صحفياً وعمره ١٧ سنة ، وأسس جريدة اسمها « رعد » وبدأ يدعو إلى الجمهورية في إيران .. ويهاجم أسرة كاجار المالكة

وهكذا يعود السيد ضياء الدين وواتته الفرص فأصبح وزيراً في سن السادسة والعشرين ورئيساً للوزارة في سن السابعة والعشرين ، ثم قرر أن يقوم بانقلاب لخلع الأسرة المالكة — أسرة كاجار ومنها — وكان لابد له أن يستعين في تنفيذ الانقلاب بالجنرال رضا بهلوي رئيس هيئة أركان حرب الجيش وقتها

وكان للجنرال رضا بهلوي خطة خاصة يسير عليها في صمت ومهما يكن فقد استطاع أعداؤه في بث الفرقة بين أهداف السيد ضياء الدين فتركه يتحد مع الأحزاب لتجميع أسرة كاجار ، وأتم ضياء الدين مهمته . فإذا بالجنرال رضا بهلوي يتحرك ليعمل ويحرم رئيس الوزراء الشاب من متعة الحكم فيقبض عليه وينفيه إلى خارج إيران ويصبح نفسه ملكاً لإيران ويعلن قيام أسرة بهلوي !

وعاش السيد ضياء الدين في المنفى يجتر الحسرة والندم ، واستقر في فلسطين حيث اشترى مزرعة يتعهدها بنفسه ويعمل فيها حتى نزل الشاه رضا بهلوي عن العرش فعاد إلى وطنه يحاول أن يلعب دوراً سياسياً جديداً على رأس حزب جديد ألفه وأطلق عليه اسم « حزب إراده ملي » أي حزب « إرادة الأمة » !

ثم لم يطق السيد ضياء الدين مرارة الكفاح فاعتزل واعتكف في قريته « سعادت آباد » على بعد خمسة كيلومترات من طهران

حيث انشأ مستعمرة نموذجية

وابرز ميزات السيد ضياء الدين ، ان آية الله كاشانى كان يؤيده مرشحا لمنصب الوزارة ، ولكن الشاه – كان يخشاه ويهابه – كقوام السلطنة – ويعتقد ان آراءه الجمهورية تسري في دمه ، وان تحويل ايران الى جمهورية مازال يراود احلامه

وطال تردد الشاه ...

واشتد ضغط اليسار !

ثم انتهى الامر الى تكليف السيد حسين علاء بتشكيل الوزارة ، وحمل مجلس النواب اسمه كمرشح للرئاسة

ونسي المجلس كل اعتراضاته السابقة على حسين علاء

نسي حياته التي عاشها كلها ، طالبا ومحاميا في انجلترا ، ودبلوماسيا خارج ايران

ونسي ترحيبه بمعاهدته التي يحمله ثورة الراحة والسلام على مؤامرات طهران ودسائسها ، وعلى مصائب قصر جولستان ، والنكبات التي تلحقها سرايته من رؤساء الوزارات

ونسي انه لا يتقن اللغة الايرانية خطابة ، بل وكلاما ، في ظروف تفرض على رئيس الوزراء ان لا يكف عن الخطابة والكلام ليلا ونهارا ...

نسي المجلس هذا كله ...

ولم يذكر الا الخطر الزاحف .. الخطر الاحمر ، والذي كانت اول خطوة في سبيل مواجهته ، ان تكون لايران وزارة مسئولة تواجه الموقف !!

وهكذا دخل حسين علاء الى قصر جولستان !

٤ ـ علاء في وجه العواصف

ولم تكن مهمة السيد حسين علاء ـ أو « آلا » كما يسميه الإيرانيون ـ مهمة هينة ، ولا كان طريقه مفروشا بالورد والحرير !

فمضى رئيس الوزراء أياما طويلة يدور على السياسيين والنواب ويتوسل لكل منهم أن يعاونه ويدخل في وزارته . ولكن معظم الذين كانوا يصلحون للعمل . في رأى علاء ـ كان لهم رأى آخر !

كانوا يعتقدون أن وزارة حسين علاء مؤقتة ولن تدوم ، وأن عمرها لن يطول أكثر من المدة التي يحزم الشاه فيها أمره فيكلف أحمد الرحيم القومي ـ قوام السلطنة ـ أو الطباطبائي ـ بتأليف الوزارة ، ولم يكن هناك من يرغب في أن يكون مجرد جسر يقام ليعبر عليه الآخرون .

هذا فضلا عن دقة الظروف نفسها مما لا قبل لأى وزارة بمواجهته مهما بلغت قوتها !

وازداد الموقف صعوبة بما أصدر نواب صفاوي رئيس « فدائيان إسلام » بيانا ـ أو أمرا على الأصح ـ جاء فيه

حسين علاء

إن سعادة الأمة الإسلامية الإيرانية لا يمكن أن توكل إليك أو إلى رجال من أمثالك . استقل فورا

بمعونة العلي القدير !

نواب صفاوي

وكانت الترجمة الوحيدة لهذا البيان في رأى عدد كبير من السياسيين أن فدائيان إسلام قرروا أن يقتل حسين علاء

وكل من يتصدى لمعاونته !

وانطلقت جيوش الاشاعات تؤكد هذه الرحمة كل دقيقة وفي الأيام الاسلامية التي كان حسين علاء فيها يحاول جاهدا ان يشكل وزارته كانت طهران تسمع نبأ اغتياله بمعدل مائة مرة في اليوم الواحد !

أما العقبة الثالثة لهذا — في وجه حسين علاء — فهي مشكلة المرتبات المتأخرة لموظفي الحكومة ، وكان لبعضهم في ذمة الدولة مرتبات شهرين ولبعضهم الآخر مرتبات ثلاثة شهور ، وكانت الكارثة ان هذه المرتبات متأخرة للموظفين في الوقت الذي اقترب فيه عيد النيروز ، وهو العيد الوطني الشعبي الكبير في ايران

واستدعى السيد حسين علاء وكيل وزارة المالية لمناقشته في الاشكال وقال وكيل المالية لرئيس الوزراء الجديد الذي لم يختر وزراءه بعد ان المبلغ المطلوب دفعه للموظفين هو ٦٠ مليون تومان ، أي ما يقرب من ستة ملايين من الجنيهات ، بينما خزانة الحكومة ليس فيها الا عشرة ملايين تومان أي سدس المبلغ المطلوب !

وذهب السيد حسين علاء الى مجلس النواب يقول لاعضائه :

— انا في موقف غريب ، فأنا مكلف بأن أؤلف وزارة تحكم البلاد بواسطة موظفين لم يقبضوا مرتباتهم وهذا وضع عجيب . .

وذهب السيد حسين علاء الى قصر المرمر يقول لجلالة الشاه :

— اني لا أبصر طريقي وسط هذا الظلام ، وأنا اريد ان اسمي الوزارة ولكني لا أجد وزراء يتعاونون معي .

ويتدخل الشاه بنفوذه لتسهيل مهمة حسين علاء في ايجاد وزراء ثم هدد حسين علاء بانه سيترك الموقف اذا لم يساعده الجميع على اعادة الهدوء والأمن الى ايران ، وكان الشبح الأحمر

ما زال رابضا فوق جبال شمران يرقب طهران من بعيد ؛ وامام
الشبح الاحمر ترك اليمين الارمه تمر ، وهكذا تلقى حسين علاء
وعدا من آية الله كاشانى ، ومن الدكتور محمد مصدق بأن لا يضعا
العراقيل فى طريقه ..
وتألفت وزارة حسين علاء !

٥ — الاسطول البريطانى أمام خوزستان

وكان من رأى اسد حسين علاء ومن رأى كل زملائه انه من
المستحيل مواجهة الموقف دون اتخاذ اجراءات استثنائية حازمة
تمنع الهول الاحمر من ان يستطيره
وفجأة صدر قرار بانتداب الجنرال حجازى نائب رئيس
هيئة اركان حرب الجيش الايرانى مديرا لبوليس طهران
مع قيامه بعمله فى هيئة ركان الحرب .
وفجأة — للمرة الثانية فى نفس اليوم — وقفت محطة اذاعة
طهران برامجها العادية ، وقال المذيع فى صوت مختنق بالشعور
بالاهمية مايقول :
« جاءنا نبأ هام من الجنرال حجازى نائب رئيس هيئة اركان
حرب الجيش الايرانى وحكمدار بوليس طهران بالانتداب »
ووقفت طهران كلها تحت اجهزة الراديو تسمع المذيع يتلو
بنفس الصوت المختلج شعورا بالاهمية البلاغ الرسمى
التالى نصه :
« بناء على قرار مجلس الوزراء بتاريخ ٢٩ اسفند ١٣٢٩
وبعد الرجوع الى الامر رقم ١٤٥٠٤ لوزارة الحرب
قد اعلنت الاحكام العسكرية فى طهران ومنطقتها لمدة شهرين

بدءا من الساعة الرابعة عشرة والنصف بعد ظهر اليوم .

ويقضي قرار مجلس الوزراء بتعيين في نفس اللحظة حاكما عسكريا لطهران ومنطقتها ..

وبمقتضى السلطات المخولة لي . فقد قررت اعلان حالة الطوارىء في طهران ومنطقتها وانى اطلب الى اهالي طهران - مراعاة للصالح العام - أن يبذلوا كل جهدهم في طاعة القوانين والاوامر والتعاون بكل السبل مع الحكومة العسكرية لصون الامن العام ..

الجنرال جيلاني
الحاكم العسكري لطهران ومنطقتها

وكان هذا الاتجاه متوقعا في طهران لدى المتتبعين لسير الحوادث ، وكان الشيوعيون قد استعدوا له !

وكانت خطوة الشيوعيين الجديدة مفاجأة للوزارة وللحاكم العسكري العام ، لقد اتضح أن هدفهم لم يكن طهران نفسها ، وانما كان الى أقصى الجنوب منها ، في عبدان مركز البترول الحساس !

وفجأة امتلأت شوارع طهران بالعلانات ومنشورات تحمل أهالي طهران بتكوين هيئة جديدة باسم « جبهة المكافحين ضد شركة البترول الانجليزية الايرانية »

ثم امتلأت شوارع طهران باعلانات ومنشورات اخرى تدفع الى الجبهة الجديدة قررت ارسال ابطال الى عبدان وتدعو المكافحين المؤمنين الى الالتحاق بهم ، والى الركوب في قوافل اللوريات الخاصة التي ستقلهم الى عبدان للجهاد .

وقبل أن يستطيع الحاكم العسكري لطهران أن يتدخل ، كانت قوافل اللوريات تغادر طهران وغيرها من المدن ، متجهة

جميعا الى الجنوب .. الى عبدان ..

ولم تكن الهجمة الجديدة الا فاتحا جديدا لحرب بودة ، وفى الوقت الذى غادرت طهران فيه شاحنات اللوريات متجهة الى عبدان، كان حزب بودة قد اعطى اشارة العمل الى مراكزه فى مناطق البترول نفسها .

وبدأت الاضرابات فى مناطق البترول ، ولاح جليا ، ووضح ان معظم الجماهير لم تعد طهران وانما هى عبدان .

وبدأت الاحداث تجرى بسرعة ..

أصبح الرجال فى خطر مباشر ، والحكومة البريطانية تحتج وتطلب الحماية لمصالح الشركة وموظفيها ومهندسيها . والمعين المتطرف الذى صنع الازمة وجد أن قبضته قد افلتت من يده ، والوزارة التى اتجهت نحو تشجيعها واعلنت الاحكام العرفية فى طهران ، وجدت ان الخطر قد ترك لها طهران ورجع الى الجنوب ! ..

وفوجىء السيد حسين علاء بانباء تقول ان بعض قطع الاسطول البريطانى قد دخلت ميناء عبدان ، وروت بعض المصادر ان المدمرة « جامايكا » بالذات ومعها مجموعة من كاسحات الالغام هى التى دخلت ميناء عبدان بينما الخليج الفارسى خارج عبدان يضم قطع الاسطول البريطانى المحتشدة

وقرر السيد حسين علاء استدعاء السفير البريطانى ليشرح له خطورة الموقف ، ولقد روى لى احد الوزراء فى وزارة علاء تفصيلات مقابلته مع السير فرانسيس شبرد السفير البريطانى قائلا :

« ان رئيس الوزراء أوضح للسفير البريطانى مدى الخطر الذى ينجم عن وجود قطع الاسطول البريطانى فى عبدان او

على معرفة منها ، وقال لي ايضاً :

« اني لا استطيع ان امنع الجيش الروسي من اقتحام حدود ايران الشمالية اذا زحف جيش انجليزي واحد الى الشرق عبادان ، ذلك لان المعاهدة الايرانية الروسية تنص على ان من حق الجيش الروسي ان يدخل الحدود الايرانية ، اذا زحفت على ارض ايران قوات اجنبية اخرى بقصد احتلالها او بقصد اتخاذها معبرا لها الى جهات اخرى »

وقال لي الوزير الايراني ان السفير البريطاني قال للسيد حسين علاء انه يقدر موقفه ، وانه يتصرف من تلقاء نفسه حالما سمع بانسحاب الاسطول من عبادان فاتصل بالسلطات الانجليزية البريطانية لتأمر قطع الاسطول بان تبتعد عن عبادان

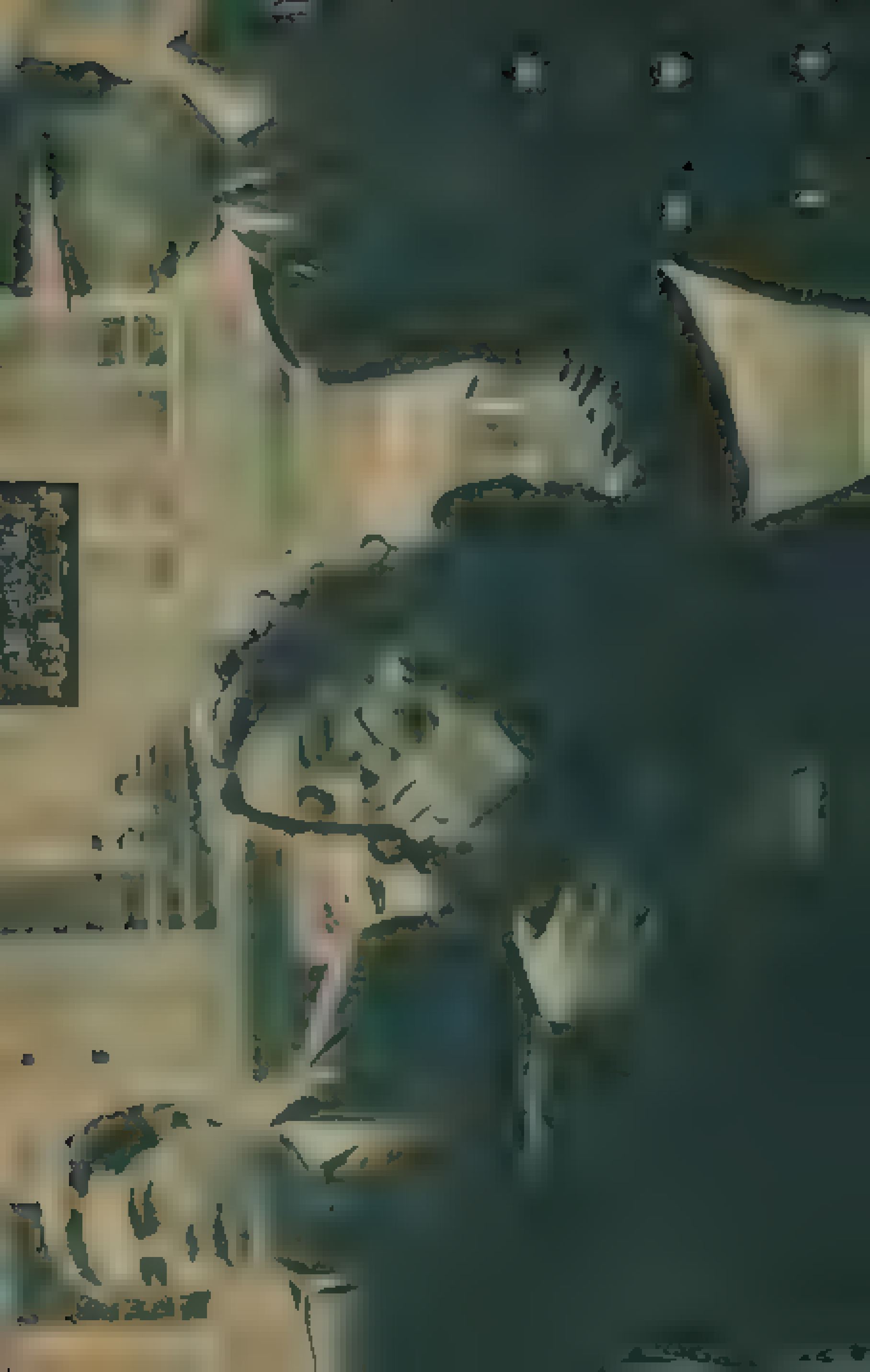
وقال السفير البريطاني :

— وقبل ان اجيء اليك الآن تلقيت من الاميرالية ان قطع الاسطول ابتعدت بالفعل عن عبادان وانها القت مراسيها في البحرين . .

ثم ختم السفير حديثه في مقابلة لرئيس وزراء ايران بقوله :

— ان الحكومة البريطانية ترى ان الموقف في الجنوب يزداد خطورة وتطالب بارسال قوات كافية من وحدات الجيش للسيطرة على الموقف . .































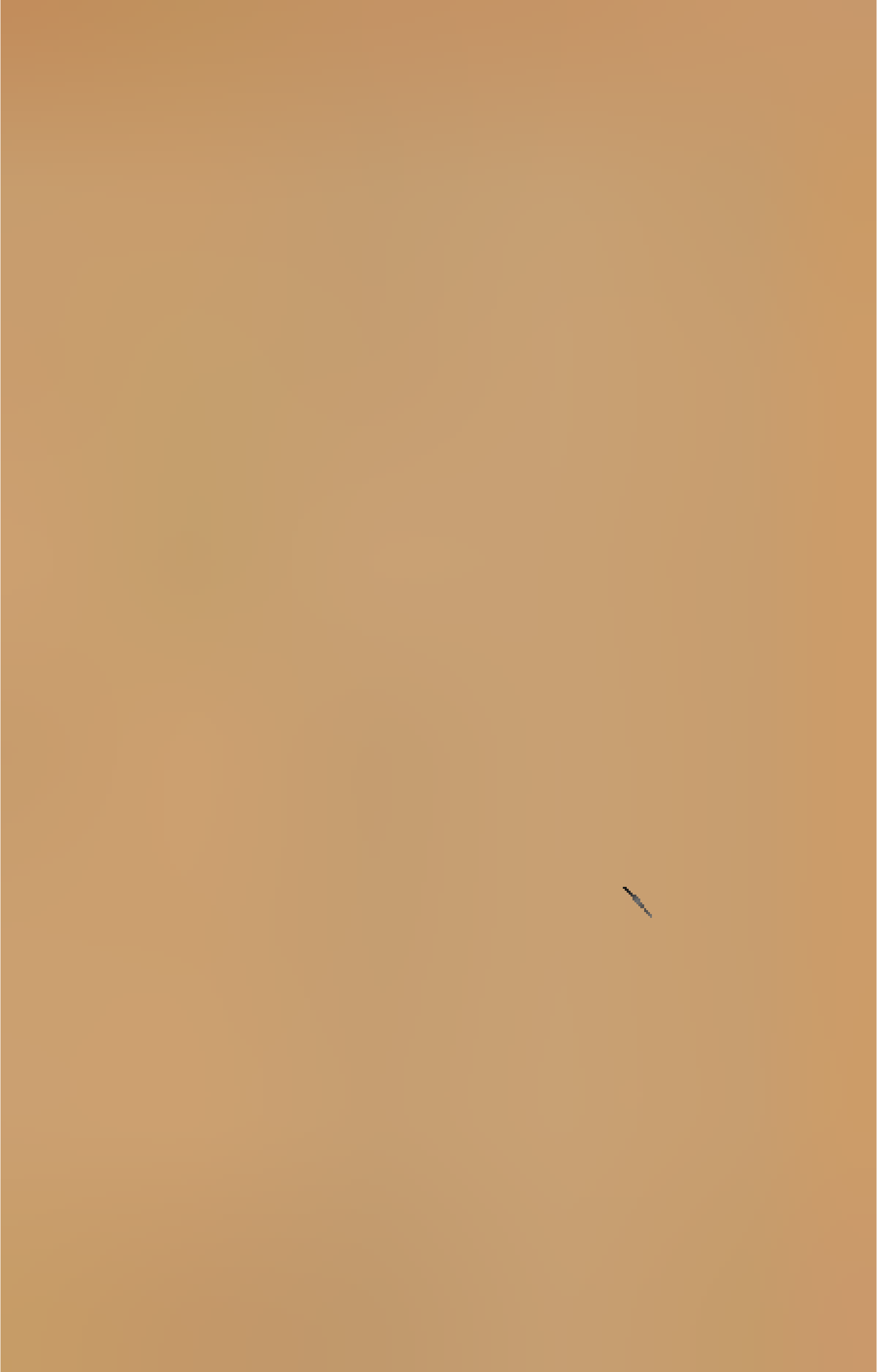




أخبار اليوم

الجريدة الأولى
فى الشرق
نقرأ فيها دائماً

أخبار الغد



الفصل السابع

أيها الربان
إنها ليلة مظلمة هائلة
إن الموت يتربص بنا
والخطر يطل بأجنحته السود حول شراعنا الممزق
والإعصار العاتي يزأر ويهدر
أقسم أن لا يهدأ إلا أن تلقى سفننا الهلاك
والبرق والرعد والمطر والعاصفة والموج الغاضب
أيها الربان .. أيها الربان
ما هو المجهول الذي يكمن لنا في الأعماق
حيث الظلام الرهيب !

« بابل »

جنونا وراء الخطر ـ كرة من أقدام عمالقة ـ حكومة جعفر بشماري ـ دوام السلطة مع سالبي ـ بشماري يحمي ـ السفير الامريكي يتكلم ـ نحو سوري في الشمال ـ دعما للأذى وأسموا للعاقبة ـ ممنوع البحث في أشمال ـ معارك في كارهات طهران ـ سرير ممنور لعبة عروس ـ الامريكان في طهران !

١ ـ جمهورية تباع في سوق الآمال !

وكان على اليمين ان يتصرف

على اليمين الذى أثار العاصفه، واطلق الوحش من عقاله ـ كما كانوا يقولون في طهران ـ ان يجد له وسيلة لتهدئة الحالة ، واعادة الهدوء الى عصـــه الجديدي ،وكانت تصرفات اليمين الجديدة تتناقض مع تصرفاته الســابقه،ولكن الخطر كان ـ في تقديره لــ لا يحتمل انصاف الحلول

وبدأ الدكتور محمد مصــدق رئيس الــكتلة الوطنيـة يذيع البيانات المتواليه،طالبا من العمال المضربين في الجنـوب أن يعودوا الى العمل .

وبدأ آية الله كاشــانى الزعيم الدينى الكبير يناشد اتباعه أن يحافظوا على الامن والنظام .

وبدأ نواب الكتله الوطنيه ومن ورائهم نواب المعارضة ، يطالبون باتخاذ اجراءات حازمه ،وهكذا اعلنت الحكومة ـ بموافقه البرلمان ـ الاحـكام العســكرية في المنطقة الجنوبيـــة التى امتد اليها الخطر ..

ثم اعلنت الحكومه زوال الحكم العسكرى عن طهران وضواحيها بعد أن زال عنها الخطر،وتعهدت الجبهه الوطنيه وتعهد آية الله بما معناه ان طهران عهدة في ايديهم لحساب السيد حسين علاء،وانهم يصونون الامن والنظام بـكل الوســائل الممكنه !

ولكن ايران كلهــا كانت قد اصبحت كتلة خطر ، فان الفتنه التى كانت طهران مسرحا لهـا ،لم تعد مجرد حركة محليه،وانما امتد نطاقها فشمل ايران كلها،التى لم تلبث ان تحولت الى العودة

تائهة في ايدي عمالقه كبار ، وماذل احد وراء السيد حسين علاء في هذه الفترة :

ــ مسكين هذا الرجل ــ يقصد حسين علاء ــ كانما لا تكفيه مصائبه هناء حتى تسعر له القوى الخارجيه ، ماذا يعمل بين الانجليز والروس والامريكان ، ان عيونهم جميعا ترقب كل حركة من حركاته وكل سكنه من سكناته!

والحق ان عيون هؤلاء جميعا ــ الانجليز والروس والامريكان ــ لم تكن مفتوحه على حسين علاء وحده وانما كانت مفتوحة على ايران كلها ، والحق ايضا ان عيون هؤلاء جميعا ما غفلت ابدا عن ايران ولا كفت عن التحديق فيها ، والحق اخيرا ان الصراع بين هذه الدول الثلاث ــ التي تهتم بايران كما لا تهتم بشيء آخر ــ لم يبلغ في اي مكان على الارض ما بلغه في ايران من عنف وخطورة تنذر بالشرور !

وكانت تلك مأساة ايران الكبرى لا في هذه الاسابيع وحدها ، وانما منذ سنوات طويلة بعيده !

واهتمام الانجليز بايران ــ مثلا ــ هو نفسه قصه شركة البترول الانجليزية

ولقد كانت شركة البترول هي كل شيء في ايران ، كانت تعين الوزراء وتقيل الوزارات وتسمع صوتها معظم النواب على من تشاء وتنزع رداءها ــ ذا النفوذ القوي ــ عمن تشاء ، وكانت تملك الكلمه العليا على رؤساء القبائل القويه ، خصوصا قبائل الجنوب ، وهي قبائل « البختياري » و « القشقائي » ، وزعماء هذه القبائل يملكون ثلاثه في المائه من اسهم الشركه ، وكانت هذه الاسهم قد قدمت هدية لهم من شركة البترول ، لكي يبذلوا كل نفوذهم لحماية مصالح الشركة وامتيازاتها الممتدة عن

الصحارى من اى اصدقاء !!

٢ – الدب المتحفز تحت سفح القوقاز

واهتمام روسيا بايران قصة مشهورة ، بدأت منذ زمن طويل

ان الحدود بين روسيا وايران مشتركة لآلاف الاميال ، وروسيا

دائما تحتل المركز الاول فى تجارة ايران ، وايران فيها

البترول ذو الكميات الهائلة والمركز الاستراتيجى الممتاز ، ولا شيء

اكثر من هذا . الحدود المشتركة والتجارة والبترول والاستراتيجية

يمكن ان تثير شهية واطماع روسيا تجاه بلد مثل ايران !

وثمة اتفاقات اقتصادية وسياسية كانت تربط علاقات

البلدين منذ اعقاب الحرب العالمية الاولى ومن هذه الاتفاقات ما كان

يعطى – ولا يزال يعطى حتى الآن – الحق لروسيا فى ان تبادر

الى احتلال ايران اذا نزلت فيها قوات تابعة لدولة اجنبية بقصد

احتلالها او بقصد اتخاذها معبرا الى اراض اخرى

وخلال الحرب العالمية الثانية دخلت العلاقات بين روسيا

وايران فى دور جديد ، فقد وقعت ايران تحت الاحتلال

المشترك للانجليز والروس منذ سنة ١٩٤١ ، ثم جلوا عنها

بجيوشهم . وتركوا مؤامراتهم ، اخرجوا جنودهم وادخلوا

جواسيسهم !

وترك الروس وراءهم فى ايران عش المؤامرات وعش الجواسيس

– حزب توده ، ومن حزب توده تفرع الحزب الديمقراطى الذى

رأسه جعفر بيشفرى والقيته حكومة الجمهورية الشعبية

الايرانية فى تبريز الموالية لموسكو ، الثائرة على طهران !

ولم تكن موسكو تؤمن بحكومة جعفر بيشاوري لاكثر من سبب؛ كانت تعتقد اولا ان الوقت ليس ملائما لقيامها

وكانت ترى ثانيا ان الاسباب التي من اجلها قام جعفر بيشاوري هذه الجمهورية ، اسباب واهية غير منبعثة عن وعي شعبي كامل ومن ثم فهي لا تبرر اتساع الحركة .

ولكن هذه الاسباب كلها لم تمنع موسكو من ان تساند جمهورية جعفر بيشاوري لتستفيد منها او لتساوم بها عند الاقتضاء ..

وكانت ايران قد رفعت امر الجمهورية الناشئة ، ومساعدة الروس لها ، الى هيئة الامم المتحدة

وظلت المفاوضات دون جدوى ، وقرر رئيس وزراء ايران وهو السيد احمد قوام السلطنة ان يتجه الى الاتحاد السوفيتي مباشرة ، وكان قوام السلطنة ـ الثعلب ـ يعرف حنين روسيا وشوقها الى الحصول على امتياز لاستغلال بترول الشمال في ايران مما جعله واثقا من نجاح مهمته .

وهمس قوام السلطنة في اذن الرفيق سادتشيكوف سفير روسيا في طهران بانه على استعداد لان يعطي روسيا ما تطلبه من امتيازات

ثم طار قوام السلطنة الى موسكو وعاد منها بعد عدة ايام ليذيع بلاغا رسميا هذا نصه:

« ان المفاوضات التي بدأت في موسكو بين رئيس الوزارة الايرانية والسلطات السوفيتية قد وصلت الى اتفاق تام بشأن جميع المسائل وهي :

١ ـ تجلو قوات الجيش الاحمر عن جميع اراضي ايران في غضون شهر ونصف

٢ ــ الموافقة على تأسيس شركة ايرانية سوفييتية مشتركة قريبة لعرض شروطها على الدورة الخامسة عشرة للبرلمان الايراني للتصديق عليها في بحر ٧ شهور

٣ ــ ان مسألة اذربيجان مسألة داخلية ايرانية ومن حق الحكومة الايرانية ان تضع الترتيبات السلمية التي تراها مع شعب اذربيجان لانها المتكفلة مع الوصية تنفيذ بعض الاصلاحات التي تتمشى مع روح المودة مع شعب اذربيجان

وهكذا ألقت موسكو بجمهورية جعفر بيشاوري الى الارض لان يديها امتلأت بالوعود والآمال في بترول الشمال !

ولكن قوام السلطنة الثعلب راوغ في عرض الاتفاق على المجلس وارسلت موسكو احتجاجا بعد احتجاج ، وانذارا بعد انذار ، ولم يجد قوام السلطنة مفرا من تقديم مشروع تأسيس الشركة الايرانية السوفييتية القريبة الى المجلس الذي قرر ان ينظره يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٤٧

ولعبت الدسائس والمؤامرات واذا المجلس يرفض الاتفاق بأغلبية ١٠٢ صوت ضد صوتين ، واتخذ المجلس في نفس الجلسة قرارا بمنع الحكومات الايرانية من ان تفاوض في المستقبل أو تتفق على منح اي امتيازات لاستغلال بترول الشمال لأية دولة اجنبية ، وامر المجلس في نفس الوقت برنامجا وطنيا مدته خمس سنوات للبحث عن البترول في الشمال واستغلاله بواسطة رأس مال ايراني

وكان السفير الامريكي في طهران جورج الن في ذلك الوقت اول المصفقين لهذا القرار ، وادلى يومها بتصريح نشرته الصحف وجاء فيه :

« مع انه كانت هناك شركات امريكية تسعى للحصول على

امتيازات في ثروات المناطق الشمالية من ايران — ومع ان هذا القرار من البرلمان الايراني يقضي على امل هذه الشركات، فان الولايات المتحدة تؤيد قرار المجلس بكل قواها وتؤيد حرية ايران الكاملة في التصرف في موارد ثروتها »

وقوجئت روسيا بما جرى، ولكنها قررت ان لا تسكت

فقد حدث بعد ذلك ان أعلنت الحكومة الايرانية انها — طبقا لقرار مجلس النواب لمشروع السنوات الخمس الخاص بالبحث عن البترول — ستبدأ في استكشاف مناطق الشمال

ومضت الحكومة الايرانية خطوة في طريق التنفيذ فاستخدمت بعض الخبراء لمسح المناطق الشمالية واستكشافها بالطائرات طبقا لأحدث الاساليب العلمية .

وذات صباح طلب الرفيق سدشيكوف السفير الروسي مقابلة رئيس وزراء ايران على عجل . وكان يومها السيد حكيمي . وكان سدشيكوف يحمل انذارا من حكومة موسكو تقول فيه « ان الطائرات التي تدعي حكومة ايران ان مهمتها هي مسح اراضي الشمال جيولوجيا بحثا عن البترول انما هي في الحقيقة تقوم بتصوير الحدود الروسية لحساب الامريكيين »

واجتمع مجلس الوزراء الايراني ليقرر — دفعا للأذى وايثارا للعافية — وقف أعمال البحث بطائرات ، وان يستعاض عنها بطرق الحفر والتنقيب العادية

ومرة ثانية طلب سدشيكوف مقابلة السيد حكيمي رئيس الوزراء يحمل له للمرة الثانية أيضا — انذارا من موسكو جاء فيه « انه ثبت علميا ان كميات البترول المخزونة تحت طبقات الارض في المناطق الشمالية من ايران متصلة اتصالا وثيقا بمسارب ما تحت الارض بمنابع البترول الروسية في القوقاز ،

وان اي سحب للبترول من اي آبار قد يتم حفرها في شمال ايران ، انما يسحب في الواقع ونفس الوقت - من الاحتياطي المدخر في باطن الآبار الروسية ، وعليه ، فان حكومة الاتحاد السوفيتي تطلب وقف أعمال الحفر والتنقيب في الشمال ، وعلى الفور » !

ومرة أخرى قرر مجلس الوزراء الايراني - دفعا للاذى وايثارا للعافية - ان يقف كل اعمال البحث عن البترول في الشمال الى اجل غير مسمى !

٢ - تحيـة للجيش الأحمر

ولقد قام الروس بمناوراتهم في ايران ببراعة تستحق الاعجاب! والذى يقول ان شعب ايران يكره الروس او يمقت جواسيسهم يجنى على الحقيقة وعلى واقع الامور في كل ايران

بل ان العكس هو الصحيح ..

ان روسيا استفادت بطريقة غير مباشرة من كل ارباح حزب توده في طهران، ولم تكتف روسيا بعوائدها غير المباشرة من وراء توده بل أقدمت بنفسها وبطريقة ايجابية على العمل لحساب نفسها

ولقد سمعت أكثر من مرة وانا في طهران من يقول

- مالهم الروس ... أليسوا خيرا من الانجليز والامريكان !

وطهران تروى لصالح الروس قصصا عجيبة ، وقص احد موظفي الحكومة الايرانية يوما وقال لي :

« لقد جاء وقت اشترك فيه الروس مع الانجليز والامريكيين في احتلال طهران ، وبينما كان الجنود الانجليز والامريكان يسكرون ويعربدون في الشوارع كانت القيادة الروسية قد

أصدرت أوامرها مشددة بأن يلزم جميع الجنود الروس أسوار ثكناتهم ولا يخرجوا الى المدينة أبدا !.

وفي الوقت الذي كنا – نحن سكان طهران – نروي فيه قصص خطف النساء والفتيات في السيارات العسكرية الانجليزية والامريكية ، كنا نتحدث باعجاب عن أدب جنود الروس ورقة جنود الروس

وكم من مرة شهدت كل جهات طهران معارك دامية بزجاجات البيرة وبالعصي والمدى والقبعات الحديدية ، بين الجنود الانجليز وأبناء عمومتهم الامريكان، هذا بينما كان الضباط الروس ينظرون من بعيد الى هذه المعارك ويهزون رؤوسهم أسى وأسفا على حلفائهم ثم ينظرون الى أفراد الشعب الايراني بود وحنان !

ويروي لي أحد ضباط الجيش الايراني انه شهد مناورات قام بها الجيش الاحمر قرب ايران ، وقال لي الضابط الايراني وكان مكلفا أثناء هذه المناورات الروسية بحفظ الامن والنظام

« حدث أن تحمس بعض الاهالي ضد جنود الجيش الاحمر وأخذوا يقذفونهم بالسباب ، ثم تحول السباب حجارة ، وسقطت قطع الاحجار فعلا على بعض الجنود الروس ، وكنت في مكاني أتميز غيظا وأقول لنفسي : لو أخرج هؤلاء الروس مسدساتهم وأطلقوا النار على الذين يقذفونهم بالحجارة لما استطعت أن ألومهم ، ولكن الجنود الحمر كانوا يتلقون الحجارة بابتسامات عذبة رقيقة ، وعلمت أن القيادة الروسية أصدرت أوامرها اليهم أن يتصرفوا هكذا بمنتهى الادب حتى ولو اعتدي عليهم !..

وفي تبريز عاصمة أذربيجان رأيت بعيني نموذجا آخر لرقة الروس ...

لقد كانت تبريز عاصمة للحكومة الشيوعية التي اقامها جعفر شعاري وحميها موسكو ثم تخلت عنها املا في بترول الشمال

ولكن موسكو لم تترك تبريز الا بعد أن جعلت منها مشروعا ضخما للدعاية للمذهب الشيوعي، وتبريز اليوم – من أكثر من ناحية – موضع حسد باقي المدن الايرانية بما فيها طهران نفسها

وطهران عاصمة ايران ليس فيها نظام للمجاري ولكن تبريز التي كانت عاصمة شيوعية لمدة لم تمتع بهذه الميزة، فقد نفذ الروس فيها مشروعا ضخما للمجاري ..

وطهران عاصمة ايران ليس فيها نظام للمياه النظيفة ولكن تبريز التي كانت عاصمة شيوعية تتمتع بهذه الميزة، فقد نفذ الروس فيها مشروعا ضخما للمياه النظيفة

وشق الروس شوارع فسيحة وسط تبريز، واقاموا مباني جميلة كثيرة، ولقد ركبت عربة يجرها حوذان في شوارع تبريز، وكان السائق يشير بسوطه الى بعض المباني الحديدة ويقول

– هذا هو البرلمان الذي بناه الديمقراطيون – يقصد الشيوعيين

– هذا هو مقر رئاسة جعفر بيشعاري

– كل هذا بناه الديمقراطيون

وسألت سائق العربة : وانت ! ماذا كنت تعمل ايام الشيوعيين ؟

وشد السائق قامته بفخر وقال، كنت جنديا يا سيدي !

واقام الروس مستشفيات كثيرة في تبريز، واقامت هذه المستشفيات محطات علاجية ثابتة في مناطق اذربيجان

واشهر المستشفيات، واكثرها زوارا، في تبريز هو المستشفى السوفيتي الذي يخفق عليه العلم الاحمر، وبينما الاطباء الايرانيون الثلاثة في تبريز لايتركون منازلهم اثناء الليل الا باجور

مضاعفة عدة مرات ، وفى بعض الاحيان يرفضون زيارة المرضى فى المناطق النائية ، فى نفس هذا الوقت ، على اطباء المستشفى السوفيتى من الروس اى دعوة ، وفى اى مكان ، وفى اى وقت من الليل اوالنهار

وقال لى ضابط ايرانى ، وكان واقفا يحدثنى ونحن فى قرية « جولفا » على حدود روسيا ، وضباط الجيش الاحمر يلوحون امامنا وراء حدودهم :

ــ لقد لعب الروس لعبتهم فى منتهى البراعة ، كانوا يعلمون انهم لن يبقوا فى ايران وانهم سينسحبون منها ، فحرصوا على ان يتركوا بعد ذهابهم ذكريات عاطرة

واستطرد الضابط الايرانى وهو يشير الى الحدود الروسية :

ــ انا واثق مما اعلمه عن حالة مواطنيهم وراء الحدود ــ ونحن جيران لهم كما ترى ــ ان نظامهم ليس خيرا على الاطلاق ، بل ونحن واثقون انهم يوم يخلو لهم الجو معنا لن يكونوا فى مثل الرقة التى كانوا عليها فى الماضى ... ولكن ...

ولاحت على وجه الضابط الايرانى علامات المرارة ثم استطرد

ــ ماذا فعل الانجليز والامريكيون لنا لكى نقف الآن من اجلهم ونواجه وحدنا ذلك اليوم الذى سنستيقظ فيه لنجد جولفا قد امتلأت بالجنود والسيارات والدبابات

وهز الضابط الايرانى رأسه فى حدة وغيظ :

ــ اقول لك الحق ! انى لست مستعدا ان اموت هنا لكى يضمن الانجليز بترولهم فى الجنوب او لكى يطمئن الامريكان الى خط دفاعهم عن الشرق الاوسط

لماذا نقف وحدنا هنا ، ولماذا يفرض علينا ان نواجه الجيش الاحمر وحدنا !

وابتسم الضابط اخيرا وهو يقول :
ـ لا تتصور انني شيوعي .. على العكس لقد عشت عرب هؤلاء الناس وعرفت عن كثب مساوىء نظامهم ولكني كما قلت لا اريد ان اموت في سبيل الانجليز والامريكان !

٤ ـ ملك في ملابس رعاة البقر

واخيرا فان اهتمام الولايات المتحده الامريكية شيء جديد على ايران !
والامريكان في طهران ، زائر حائر تائه ، يجري وراء اهداف غامضة مبهمه لا يدري ما هو انجح الطرق للوصول اليها
والخطوط الرئيسيه لاهداف الامريكان في طهران هي دون شك
١ ـ الدفاع عن الشرق الاوسط
٢ ـ بترول ايران
فاما الدفاع عن الشرق الاوسط ، فان الولايات المتحده تقف امامه مدهوشه ، مرتبكه ، ومعظم الدبلوماسيين الامريكان الذين قابلتهم في طهران كانوا يرون ان الوقت قد فات لاعداد الموقف في طهران كمركز من مراكز دفاع الغرب ضد الشيوعيه ، وقال لي دبلوماسي امريكي :
ـ لا فائده .. ان ايران لا يمكن ان تكون مركز قوة لدفاع الغرب
واستطرد على الاثر :
ـ ولكننا لا نستطيع ان نتركها ثغرة مفتوحة !
ولقد حاولت الولايات المتحدة ان تقيم اقتصاديات ايران على اسس ثابته ، واعلنت اكثر من مره انها تنوي المضي في تقويه ايران بكل الوسائل حتى لو ادى الامر الى فرش شوارع طهران

بالدولارات ، ولكن الامر لم يزد على مجرد التنبيه . فان ما حصلت عليه ايران من الولايات المتحدة برغم كل الدعايات لم يزد على نصف مليون دولار طبقا لبرنامج النقطة الرابعة ، هذا بينما الخبراء الامريكيون الذين اقترحت الولايات المتحدة تعيينهم كمستشارين فنيين للوزارات الايرانية المختلفة - كانوا يكلفون الحكومة الايرانية اكثر من مليون دولار في السنة ؛ فان الواحد منهم لم يكن يجيء الا اذا وقعت الحكومة الايرانية معه عقدا مجحفا ، لسنوات طويلة ، وبمرتب ضخم يدفع بالدولار

وكان الواحد منهم يصل الى طهران فيسرع في اختيار مبنى يصلح لادارته ، ثم يشتري سكرتيرة خاصة ، ويمكث جالسا ، ولا تمضي شهور الا وقد اصبح الخبير الامريكي وزارة داخل الوزارة بل وزارة فوق الوزارة

وكانت ايران تحمل هذا كله . وهي تمني نفسها بالامل في عقد قرض امريكي ضخم ، وقد كان هذا هو السر الحقيقي لزيارة جلالة شاه ايران للولايات المتحدة في اعقاب الماضي ، وبذل الملك الشاب كل ما في وسعه ليتمكن من الحصول على ذلك القرض

عامل الرئيس ترومان كما لو كان الها يمشي على الارض

وتودد لاعضاء الكونجرس كما لو كانوا اصحاب امره يتحدد على رضاهم

وارتدى ملابس رعاة البقر ، وركب جياد الغرب الامريكية ، وظهر في الصور مع ممثلي هوليوود ، ومضغ اللبان الامريكي . كل هذا ليكسب الرأي العام في الولايات المتحدة . وعاد الشاه الى طهران وآماله في السماء معلقة على قرض قيمته ٢٠٠ مليون دولار على الاقل !

وتقدمت وزارة رزم آرا في اول عهدها تطلب الى الولايات

المتحدة عقد قرض لها مقداره ٢٠ مليون دولار ، وهنا وقعت المفاجأة ، واذا واشنطن تقول بصراحة انه لا أمل لايران في أكثر من ٢٥ مليون دولار فقط ، وحتى هذا المبلغ الضئيل يحتاج الى مباحثات ومفاوضات وشروط قبل ان تحصل عليه ايران

ولم يكن هناك مفر امام حكومة ايران ، وهكذا قبلت ان تدخل معها في مفاوضات لوضع شروط حصولها على هذا المبلغ المتواضع !

بقي شيء واحد !

هو ان المفاوضات بدأت في واشنطن منذ ثمانية شهور ولم تنته حتى اليوم ، وبلغت تكاليف الوفد الايراني الذي يقوم بالمفاوضات — سواء نفقات اعضائه أو نفقات الدعاية لعقد القرض مليونا كاملا من الدولارات !

ولم ينس الامريكيون جيش ايران عندما طلبوا ان تعهد الى بعثة امريكية تدريب الجيش الايراني واعداده ، ولكن الحكومات الايرانية التي ترتجف من الروس القابعين في هدوء على الحدود رفضت هذا الطلب ، وان كانت — طمعا في القرض الكبير — قد قبلت ابعاد بعثة أمريكية لتتولى اعداد حرس الاقاليم

وقد وقع ذات مرة حادث عرض حظر لبعض أفراد هذه البعثة ، فقد حدث ان طافوا ببعض مناطق الشمال ووصلوا الى مقربة من الحدود الروسية في بعض النقط ، وقيل انهم التقطوا بعض الصور والافلام ، ثم حدث وهم في طريق عودتهم الى طهران ان خرج عليهم جماعة من الملثمين أوقفوا السيارات ولم يفعلوا شيئا لركابها الامريكيين الا انهم صادروا جميع ما معهم من صور وافلام !

هذا هو الهدف الاول للولايات المتحدة في طهران وهو ضمان الدفاع عن الشرق الاوسط ، ثم يعني هدفها الثاني وهو بترول ايران !

وقصة سعي الولايات المتحدة وراء البترول في ايران قصة محكمة الفصل ان ادرك حقائقها المجردة وحدها يسرح بتفصيلاتها

١ ـ ان حاجة الولايات المتحدة الى البترول حاجة ملحة حيوية ، فان الانتاج اليومي للبترول في الولايات المتحدة سيصل في سنة ١٩٥٥ الى ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ برميل في حين ان الاستهلاك اليومي سيصل الى ٧٫٠٠٠٫٠٠٠ برميل ، ومعنى ذلك ان الولايات المتحدة ستضطر الى ان تستورد من الخارج كل يوم ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ برميل

٢ ـ ان الزيادة في استهلاك البترول سوف تستمر ، وسوف تسجل ارقاما مخيفة اذا قامت حرب عالمية

٣ ـ ان النقص في انتاج البترول الامريكي سيستمر ايضا ، بسبب جفاف موارده من شدة الالحاح على استغلالها

٤ ـ ان تكاليف استخراج البرميل الواحد من الزيت الخام في الولايات المتحدة تبلغ ٤٢ سنتا في حين ان تكاليف استخراج البرميل المماثل في ايران تقل عن ١٠ سنتات اى اقل من الربع بالنسبة للتكاليف الامريكية !

٥ ـ ان موارد البترول في ايران هي الموارد الوحيدة في العالم ـ باستثناء الموارد الروسية بالطبع ـ التي ليس للولايات المتحدة نصيب فيها قل او كثر

٦ ـ ان التطاحن بين الانجليز والامريكان بسبب موارد البترول في الشرق الاوسط صراع هائل ـ برغم الصداقة والتحالف بين الشعبين ـ بل لعل هذا الصراع من اخطر العوامل التي تسبب

كثيرا من قلاقل الشرق الاوسط، وقد سبق لحكومة واشنطن ان احتجت بسبعة اكثر من خمس مرات ـ بعضها بلهجات شديدة ـ على مؤامرات الحكومة البريطانية لعرقلة نشاط شركات البترول الامريكية في هذا الجزء من العالم ـ الشرق الاوسط ـ الذي ظل لفترة طويلة منطقة نفوذ بريطانية

٧ ـ ان بترول ايران بالذات كان موضع آمال ضخمة من الولايات المتحدة ، لان :

● نسبة الاحتياطي المحقق وجوده منها أعلى نسبة في العالم وتقدر بـ ١٢ مليون برميل

● ضخمة من أجود أصناف البترول في العالم

● لان مركزه الاستراتيجي في اي حرب في الشرق الاقصى أمر حيوي لكسب هذه الحرب

٨ ـ جعل الانجليز ارضاء الولايات المتحدة مركزا لها بترول البحرين التي اقتسمته شركتان امريكيتان للبترول مناصفة ، هما شركة ستاندارد اويل اوف كاليفورنيا وشركة تكساس

٩ ـ ان الامريكان ، حتى بعد هذا ، لم يسكتوا عن بترول ايران فقد عاودوا سعيهم لتحصلوا على امتياز لاستغلال بترول الشمال وتقدمت بالعمل شركتا سوكوني فاكوم وسنكلير الامريكيتين للبترول بعروض الى حكومة ايران ولكن تدخل الروس طمعا في بترول الشمال نفسه احبط المحاولة

١٠ ـ ان الامريكيين عادوا بعد ذلك يطلبون تعويضا من الانجليز فاضطر هؤلاء الى اسكاتهم بان جعلوا شركة البترول الانجليزية تعقد اتفاقا لمدة عشرين سنة مع شركة ستاندارد اويل الامريكية سلمها بمقتضاها كميات ضخمة من البترول الايراني

١١ ـ ان مناورات السفارة الامريكية في طهران طوال مدة المفاوضات لتعديل شروط الاتفاقية بين الشركة الانجليزية والحكومة الايرانية كانت تهدف الى احراج الانجليز ، وفي مقدمة هذه المناورات ان السفير الامريكي مستر هنري جرادي خرج اثناء هذه المفاوضات التي استهدفت رفع حصة الحكومة الايرانية في ارباح الشركة الانجليزية من ٢٠ الى ٣٠ في المائة بتصريح قال فيه ، انه يهمه ان يعلن ان شركة البترول الامريكية لاستغلال بترول المملكة العربية السعودية ـ ارامكو ـ تعطي الملك عبد العزيز آل سعود ٥٠ في المائة من ارباحها

١٢ ـ ان هذا التصريح بعينه من اقوى العوامل التي استندت اليها الكتلة الوطنية في المطالبة بالتأميم

١٣ ـ ان علاقة السفارة الامريكية في طهران بالقوى التي تطالب بالتأميم علاقة صداقة، وتدور مظاهر هذه الصداقة فيما يلي

● السفارة الامريكية هي التي ضغطت على الشاه ليسمح بعودة آية الله كاشاني الزعيم الديني الكبير بحجة انه وحده يستطيع ان يقاوم الدعوة للشيوعية ، بقوة العقيدة الدينية ، وآية الله هو اصلب القوى المعادية للانجليز ، وهو اصلب القوى المؤيدة لتأميم البترول ، وهو السند الصحيح للكتلة الوطنية

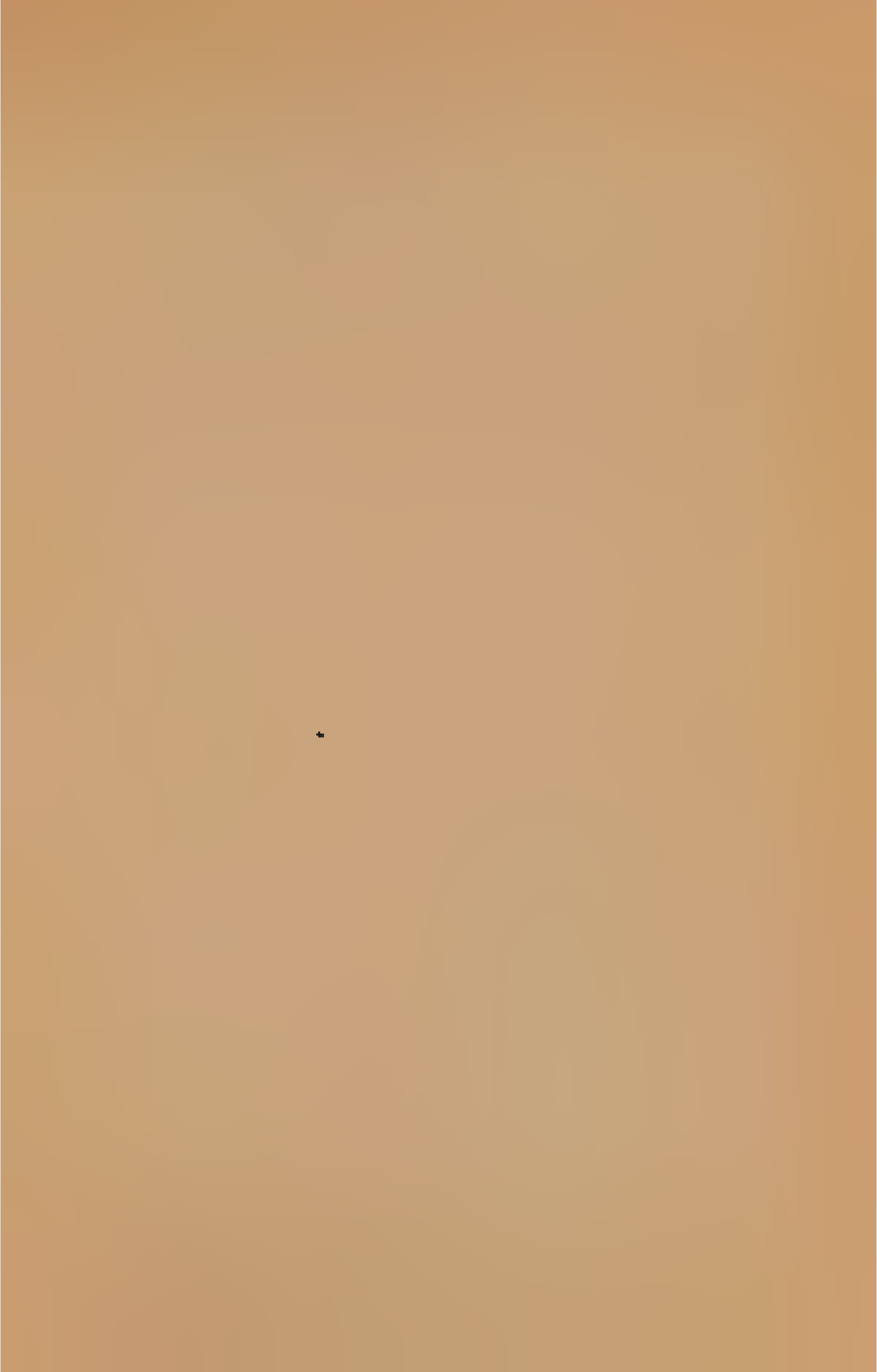
● دخل نواب الكتلة الوطنية العشرة الى الانتخابات الاخيرة عن دوائر طهران وسقطوا جميعا باستثناء الدكتور محمد مصدق وفي نفس ليلة اعلان نتيجة الانتخابات تدخل السفير الامريكي وقال ان الانتخابات مزورة ، ووجهت حكومة واشنطن انذارا رسميا الى حكومة طهران اعتمدت على اثره الانتخابات في جميع دوائر طهران ، وكان من نتيجة الاعادة نجاح جميع مرشحي الكتلة الوطنية

● ان آية الله كاشاني والدكتور محمد مصدق يقفان في نفس الخط الذي تقف فيه الولايات المتحدة، وهو خط العداء لموسكو، اولهما بوصفه زعيما دينيا، والثاني بوصفه مليونيرا واحد كبار الملاك في ايران

● ان تاريخ الدكتور محمد مصدق في محاربة الشيوعية تاريخ حافل، وكان زوج اخته وهو السيد مبين دفتري رئيسا للوزارة لما قبض على الدكتور آراني زعيم الشيوعية في ايران وظل في السجن حتى مات، وكان دفتري ايضا رئيسا للوزارة لما القي القبض على جميع الزعماء الشيوعيين في ايران

١٤ – ان الدكتور محمد مصدق رئيس الكتلة الوطنية تولى الوزارة بعد ان اقر مجلس النواب ومجلس الشيوخ وجلالة الشاه، تاميم البترول فماذا اول تصريح له هو تصريحه المشهور بأن روسيا لن تحصل على قطرة واحدة من بترول ايران

ثم لا يبقى شيء، الا ان تذكر ان الكتلة الوطنية تعادي الانجليز، وتعادي الروس، وهي بعد ذلك في حاجة الى شراء وابن فرنسي والى مشترين للبترول، واذن فلا يبقى امامها الا الولايات المتحدة، وهكذا نمضي قصة الهدف الثاني لواشنطن في طهران وهو بترول ايران .. صاحب الجلالة الاسود!



الفصل الثامن

وحدى .. وحدى .. وحدى تماما فى هذا البحر الواسع ..
الواسع !

• كوليدج •

عرش فى مهب الريح – الملك الحائر – آية الله يطرد مندوب الملك – أم الملك لها رأى – أشرف الخمسه – لقد ورثت أرضى – أريد أن يحكم شعبى – فى كف القدر !.

١ـ تاج وعرش وملك واسع

ومن وسط هذا الطوفان الهائل الذي يعمر طهران ، يحاول شاب في الثانية والثلاثين من عمره ان يطفو حالما على عرشه وتاجه فوق رأسه ، على سطح التيار الجارف .

والشاب هو الامبراطور محمد رضا بهلوي

وثمة عقدة تسيطر على تفكير الملك : تلك هي انه لا يريد ان يكون سببا في ضياع العرش الذي كافح والده ليجعله لاسرة بهلوي ...

لقد بدأ والده رضا بهلوي حياته جنديا في اسطبل ثم اصبح سائسا واصبح جنديا فحاويا فضابطا في الجيش الايراني ايام اسرة كاجار ، وانتهى به الامر ، ربما للحرية ، ثم قفز على العرش

وحين ولد محمد رضا بهلوي ـ الامبراطور الحالي ـ كان والده لا يزال ضابطا عاديا في الجيش ، وكانت ذكرى ايام الفقر السوداء تخيم بظلالها القاتمة على جو الاسرة ... ثم شاهد الفتى ، والده يقفز الى السماء ويمنح الاسرة ـ اسرة خادم الاسطبل القديم ـ تاجا وعرشا وملكا واسعا .

ثم اضطر رضا بهلوي ان ينزل عن العرش لابنه ـ اول ملوك اسرة بهلوي بعده ـ ومنذ ذلك الحين بدأ محمد رضا بهلوي يرى ملكه وعرشه يترنح تحته ، وتاجه يهتز ولا يكاد يستقر فوق رأسه ، وملكه الواسع تمزقه المؤامرات والدس

ومن هنا كانت عقدة الامبراطور الشاب

انه يريد ان يحفظ العرش والتاج والملك بأي ثمن ، وبأية طريقة

ولعل هذا هو السر في ان يستمع الى اكبر عدد من المستشارين

انه لا يرفض نصيحة ، ولا يلغى الى الريح باى راى يسمعه ، ولا يتردد فى سحب اى امراح يشار به عليه

ولعل هذا هو السر فى أن تصرفاته تبدو متناقضة ، واتجاهاته تظهر غير متماسكة ، لا تربطها وحدة .

ان تصرفات الملك بالامس عدلا تتفق مع تصرفاته اليوم ، ولا تتمشى مع تصرفاته غدا ، بل ربما بدا التناقض بين تصرفاته فى الصباح وتصرفاته فى المساء ، والسر فى ذلك هو تعدد المستشارين واختلاف اتجاهاتهم ، وطاعة الملك الدائمة المستعدة ابدا لان تسمع وتنفذ !

واستمع الملك مرة اثناء الازمة الاخيرة لنصائح الانجليز وكانت نصائح الانجليز تتلخص فى : ان جلالتك ملك يملك ويحكم وتحكمك حامل قاصر لا يعرف كيف تصرف اموره ، وبيدك انت الشاب الطموح ان تضع مستقبل بلادك ، تتقدم ولا تخف ونحن وراءك ... ان هذا المجلس ـ مجلس النواب ـ بتشكيله الحالى لا يقف معك بل يقف ضدك فلماذا تبقى ؟ ان كل هؤلاء النواب يسعون لمصالحهم فلماذا لا تحل المجلس ، ولماذا يقف رجل كآية الله امامك ، كانه الملك دونك ... اقبض على آية الله كاشانى ، واعلن الاحكام العرفية حتى يستتب النظام ويستقر الامن !

وكان الملك على وشك ان ياخذ بنصائح الانجليز ، وشاع فى دوائر طهران بالفعل ان الملك سيوقع اوامر بحل مجلس النواب ، والقبض على آية الله ، واعلان الاحكام العرفية

ولكن هذا الاتجاه سرى الى السفارة الامريكية ، فاذا السفير الامريكى يتدخل بنصائح جديدة لدى الشاه ، وكانت النصائح الامريكية تتلخص فى : « انمن الخطورة حل مجلس النواب . هذا اجراء لا يتمشى مع مبادىء الديمقراطية ، ولماذا تحل المجلس

اذا كان في وسعك ان تصادق اعداءه وتكسبهم الى جوارك ، ثم لماذا تقضي على آية الله ، بمهيان تتقرب منه وتتودد اليه ليصل الى صفك فيكون سندا للعرش؟

وحاول الشاه ان يسمع نصائح الامريكيين

ارسل يستدعى رئيس مجلس البرلمان ليكونا بجواره بآرائهما طوال مدة الازمه ، ولكن هذا لم يكفل له صداقة المجلس ، وفي جلسة عقدها النواب خلال الازمة الا اتجهت الهجمات موجهة صد الشاه ، وضد اسرته وعلى راسها الاميرة اشرف !

بل ان الهجوم على الشاه تعداه ، وتعدى اشرف ، ووصل الى والده في قبره الذي تردد اسمه تحت قبة البرلمان مصحوبا باوصاف الظالم الطاغيه السفاح!

وتودد الشاه الى آيه الله كاشاني واظهر له الحب والهيام

وحدث مره ان توعكت صحة آية الله فوجدها الامبراطور فرصه لاظهار عواطفه الطيبة نحاهه فارسل مندوبا يسأل عن صحته

وارغم مندوب الامبراطور على ان يدخل الى حضرة آية الله راكعا على ركبته ، زاحفا كنفثة الناس ممن لايمثلون الملوك والاباطرة

واكثر من هذا اعتدل آية الله في فراشه والتفت الى مندوب الامبراطور يقول له :

— هل صحيح ان الحضرة الشاهانيه مهتمة بصحتي ؟

وقال مندوب الامبراطور :

— ان جلالة الملك سمع من اصدقائه انه ارسلني الى هنا لابلغك امانيه الطيبة

وبدا الغضب على وجه آية الله وقال

— اذا كانت صحتي تهم جلالته الى هذا الحد فلماذا لم يجيء الى بنفسه !

٢ - اعاد الأرض الى اصحابها

وحاول الشاه أن يرضي الشعور العام في بلاده والرأي العام العالمي فقرر أن يتنازل عن أراضيه للفقراء . وفرض على أكثر من هذا ما فعله أغنياء ايران أن يتنازلوا عن جزء من أراضيهم للفلاحين الذين يعيشون عليها

ولم تكسب الشاه رضا الاغنياء بالطبع

ولكنه — في نفس الوقت — لم يحظ بعطف الفقراء ، وسار الناس في الشوارع يقولون

— لم يفعل الملك اكثر من أن رد الحق المغتصب الى اصحابه .. هذه الاراضي التي وزعها على الناس ورثها عن أبيه ، وأبوه كان خادم اصطبل قبل أن يلي الملك ، فمن أين جاء بالأرض أن لم يكن قد نهبها من اصحابها الاصليين من فلاحي ايران وملاكها ، واذن فان محمد بهلوي لم يفعل اكثر من أن أعاد ما سلبه أبوه الى الذين كانوا يملكونه . . . فأي شيء في ذلك يستحق الشكر !!

ولقد قابلت جلالة الامبراطور وسمعت من فمه قصة توزيعه لأراضيه

وكان اللقاء في قصر المرمر الجميل البديع

وسرت وراء كبير الأمناء في القصر عبر الصالات الواسعة المليئة بالتحف والجمال ، وعلى السلم الواسع من المرمر اللامع الذي تنساب فوقه الذهب ، وعلى السجاجيد ، التي كانت

اشبه ما تكون بلوحات خالدة من آيات الفن فرشت على الارض ، وتوقف كبير الامناء امام باب مقفل واحتجب خلفه وهو يفتح الباب برفق ودخلت لاجد صاحب الجلالة امبراطور ايران واقفا يتوسط غرفة المكتب الفخمة والى يساره الامبراطورة ثريا عروسه الجميلة

وكان حواجزه مصنوع عطرا وسلاما

النوافذ الواسعة المفتوحة لاشعة الشمس ، تطير حديقة القصر وراءها خضراء جميلة . وأواني الزهور الثمينة ملأى بألوان الورود النادرة . وثمة ستار كبير في صدر الغرفة كان مفتوحا على حديقة شتوية تتناثر فيها مجموعات الزهور التى تفوح بالبهجة والترف

وكان الامبراطور يرتدى بدلة رمادية مخططة، وعلى شفتيه ابتسامة طيبة ، وعلى انفه وفوق جبهته آثار الجرح الذى اصيب به لما اطلق عليه « مير محرابى » الرصاص فى عاصمة طهران منذ ثلاث سنوات

وكانت الامبراطورة ثريا ترتدى فستانا ازرق انيقا تجرى فيه خيوط من الذهب ، وكانت حقيبة صغيرة وديعة

وبدأ الشاه الحديث بموضوع توزيع الاراضى ، قال لى :

– لقد كنت اليوم فى مزارعى اوزع اول مجموعة من هذه الاراضى على ملاكها الجدد من الفلاحين

وسكت جلالته لحظة ثم رفع بصره وقال :

– ماذا يقول الناس عن توزيع الاراضى ؟

وقلت :

– انهم يقولون ان جلالتك اثبت انك تعيش فى عصرك ، وانك تفكر بعقلية سنة ١٩٥١

وهز الامبراطور رأسه وقال :

ـ الواقع اني اعتقد انه لا سلام ولا استقرار في الشرق الاوسط ما لم يعد توزيع الثروة فيه من جديد على اساس عادل . ونحن الآن كما نقول في سنة ١٩٥١ ، والعالم تغير كثيرا عن ذي قبل

ومضى جلالته بصوته الهادىء في حديثه ، وكانت الامبراطورة ثريا تنظر اليه وهو يتكلم ، وتحاول ان تتابع الحديث الذي كان يدور باللغة الانجليزية

وكان جلالته يقول

ـ حينما كان ابي وصيه ، ترك لي كل اراضيه ، وكنت في مجموعها سبع ربع الاراضي المزروعة في ايران ، وكان ابي يقصد من ترك اراضيه لي ، ان تساعدني دخلها على ان احتفظ بجلال الملك

ولكن الدنيا تتطور ، والافكار تتغير بسرعة

ولقد رأيت ان واجبي الشخصي كملك يقتضيني ان اوزع هذه الارض بين ساعد ابسط على الحياة ، وكنت واثقا من ان مساعدة الشعب على الحياة اقصر الطريق لصيانة جلال الملك

ومضى جلالة الامبراطور في حديثه :

ـ ولقد قررت في بداية الامر ان اترك عن هذه الاراضي للحكومة ، على ان تصرف دخلها على مشروعات ، التي ترفع من مستوى الحياة بين افراد شعبي

ولكن ظهر لي فيما بعد ان هذه الفكرة لم تكن مجدية

ولقد كان دخل هذه الاراضي حين سلمتها للحكومة ٧٠ مليون تومان في السنة ـ ما يقرب من سبعة ملايين جنيه مصري ـ

ولكن الروتين الحكومي - وهذه واحد في كل الحكومات تقريبا - كان من نتائجه ان ساءت ادارة هذه الارض حتى انخفض دخلها وهبط بعد سنوات من الدخل ، الذى كان يصل الى ٧ مليون تومان قد هبط الى ستة ملايين فقط اي انه هوى الى اقل من العشر

ولم يكن في استطاعتي ان اسكت فتقدمت الى البرلمان اطلب ان يعاد الى هذه الاراضي لتوضع تحت ادارة خاصة تكون مسئولة امامي

وكانت شقيقتي اشرف تهتم بجمعية تساهم في الخدمة الاجتماعية بنصيب وافر . ولم اجد مانعا من ان يخصص جزء كبير من دخل هذه الاراضي لرعاية المشروعات الاجتماعية التي تقوم بها اشرف ..

وكنت شديد الاهتمام بان يعود دخل هذه الاراضي الى ما كان عليه قبل ان يهبط بها سوء الادارة الى اقل من العشر

وفي السنة الاولى للادارة الجديدة ارتفع الدخل من ستة ملايين تومان الى اثنى عشر مليونا .. فعلمت ان الدخل سيصل في السنة الاخيرة الى ٢ مليون تومان !

واستطرد صاحب الجلالة الايرانية

- وبعد شهر خطر لي انه مهما يكن من امر المشروعات النافعة التي تصرف فيها دخول هذه الاراضي فان حلم الفلاحين دائما ان يصبحوا ملاكا

وسارت افكاري في هذا الاتجاه .. واستقر رأيي على توزيعها

وسكت الامبراطور برهة .. ثم استطرد وهو يضغط باصابع احدى يديه على اصابع اليد الاخرى ؟

- سوف اشرح لك الفكرة بسرعة .

ومضى جلالته :

- لقد قررت ان ابيع لهؤلاء الفلاحين هذه الاراضي باثمان تقل عن نصف قيمتها وباقساط لمدة ١٥ سنة .

وقررت ان تخصص المبالغ المجمعة من ثمن البيع لانشاء مشروعات زراعية قوية ..

وقررت ان يذهب ربح هذه المشروعات الزراعية الى مؤسسة خاصة تتولى استصلاح الاراضي غير الصالحة للزراعة بكل الوسائل العلمية والفنية . لكي توزعها بدورها على فلاحين يصبحون ملاكا جددا

وسكت الامبراطور ثم رفع بصره الي وقال

- هذه وجهة نظري .. هل وفقت في شرحها ؟

وقلت لجلالته :

- انها شديدة الوضوح ...

واشار صاحب الجلالة الى ملف على مكتبه وقال

- لقد طلبت الى الخبراء ان يعدوا مشروعات بانشاء جمعيات تعاونية تقدم على الفور . وتسير نشاطها في مساعدة الفلاحين الذين وزعت عليهم الاراضي . وانا ارى انه لا يكفي ان نعطيهم الاراضي ونقول لهم :

- لقد اصبحتم ملاكا فاذهبوا الى حالكم

ان هذا خطأ كبير ، وواجبنا ان نقف بجوارهم نساعدهم لنجعل من ملكيتهم ملكية نافعة مثمرة لهم .

وسكت جلالته ريثما يخرج علبة سجائره من جيبه ويشعل سيجارة يبعث دخانها في الهواء ثم استطرد

– انا اتمنى من صميم قلبي ان يصح ، وانا امدل من اعماقي كل ما في وسعي لرفاهية شعبي

ولما قررت ان اترل عن جميع اراضي ، حاول البعض يقولون :

– الا تحتفظ بجزء منها وتنزل عن جزء ، وهل يعقل ان يكون امبراطور ايران لا يملك قيراطا واحدا من اراضيه الزراعية ؟

وقلت لهم وانا ابتسم :

– ان امبراطور ايران يريد ان يستبدل بهذه القراريط من الاراضي الزراعية قراريط اخرى من قلوب رعاياه !

وسكت الامبراطور وكان فمه يحمل ابتسامة عريضة . وكانت الامبراطورة ثريا هي الاخرى تبتسم ...

. . . .

. . . .

. . . .

وبعد دقائق كنت اهبط سلم قصر المرمر ، ثم اتمشى على قدمي في الهواء البارد خارج القصر عبر حديقة كاخ اي شارع القصر – وكلمات ملك شاب طيب يحاول ان يخدم بلاده لا تزال تملأ خواطري ..

وعند نهاية « خيابان كاخ » كان احد باعة الصحف ينادي باعلى صوته على طبعة جديدة من جريدة « اراد » ...

وكان عنوان الصفحة الاولى في الجريدة

« الشاه يقامر بتاجه وعرشه »

وحملقت في الجريدة بدهشة .. وبعدها أقول لنفسي :

– ما أصعب صناعة الملك ، وما اشق أن يكون الانسان ملكا !

٢ ـ وحدى .. وحدى !

وكانما لا تكفى الملك كل هذه المتاعب ، حتى تهب اسرته بعضها لتقوم بدورها فى تنغيص حياته !

واول افــراد اسرة الملك هى صــاحبة الجلالة الملكة تاج الملوك والدته

« وتاج الملوك » التى شهدت كفاح زوجها من خادم فى اسطبل الى ملك وامبراطور ، والتى شهدت دكتاتورية رضا بهلوى لتثبيت دعائم عرش اسرة بهلوى فى حكم ايران ، والتى شاهدته آمرا ناهيا حاكما مطلقا فى مصائر الشعب الايرانى ، غير راضية عن سياسة ابنها

وروى لى احد موظفى « دربر » ـ البلاط الملكى الايرانى ـ ان جلالة الملكة الام كثيرا ما تدخل مكتب ابنها غاضبة ثائرة ، تلومه على الطريقــة التى يســوس بها الامور ويسير بها الملك

وكم حدثت مشادات بين الام وابنها ، هى تقول ، ان الاسرة قد انتهت بفضــل تهاون « محمد » ابنها الملك وتراخيه ، وانه لا يصلح ان يكون ملــكا ، وان لا شىء فيه شــبه اباه

ويحــاول الابن الملك ان يشرح للام ان الدنيا تغيرت ، وان العصر غير العصر ، والناس غير الناس ، وان ايام الحكم المطلق لرضا بهلوى شىء ، والحكم الحالى لمحمد رضا بهلوى شىء آخر

وتخرج الام وقد ملاتها الحسرة والاسف فتعتكف فى قصرها لا ترى احدا ولا يراها احد ، ولكنها تعود بعد ايام فتقتحم مكتب ابنها ثائرة ساخطة غاضبة !

وثانى افراد اسرة الشاه هى شقيقتــه الاميرة اشرف وهى

متزوجة من شاب مصرى هو الاستاذ احمد شفيق ابن شفيق باشا المؤرخ المشهور

والاميرة اشرف فتاة جميلة ذكية ، لا تقنع ان تكون اميرة او زوجة وانما تحلم ان تلعب دورا ايجابيا واسع النطاق ، لا فى ايران وحدها ، وانما فى المحيط الدولى كله . . .

والمثل الاعلى للاميرة اشرف هو نابليون بونابرت

ولقد قابلت سموها مرتين ، مرة فى الصالون ، ومرة فى غرفة مكتبها ، وفى الصالون كان هناك تمثال لنابليون ، وفى غرفة المكتب كانت هناك لوحة لنابليون !

ولقد كان لاشرف نفوذ هائل على شقيقها

ولكن العارفين فى طهران يقولون ان نفوذ الاميرة اشرف قد بدأ ينكمش

ثم تروى طهران بعد ذلك قصصا غريبة ، منها مثلا ان الاميرة اشرف كانت ضد كل الحد من مشكلات زواج شقيقها من ثريا اسفندياري ، وان شقيقها الثانية الاميرة شمس هى التى قامت مع الملك بكل الرسالات

ويبدو فعلا ان اشرف لم تكن راضية عن زواج شقيقها ، ويبدو ايضا انها لم تقصد فى ابداء عدم رضاها للزوجة انه لم ترحب ثريا اثناء فترة الخطبة ومن عقد القران بالسعودية، اشيع فى طهران ان الاميرة اشرف قد دست السم لخطيبة شقيقها لانها ليست راضية عنها ! !

وحدث يوم زفاف الامبراطور الى ثريا ان تضايقت الاميرة اشرف من بعض ترتيبات الزفاف فاذا هى فجأة تنسحب من قصر جولستان الذى اقيمت فيه الحفلة ، وتعود الى بيتها غاضبة !

وتبدى الاميرة اشرف اهتماما كبيرا بالاصلاح الاجتماعى فهى

رئيسه هذه « سازمان شاهنشاهى خدمات اجتماعى » اى المؤسسة الامبراطورية للخدمة الاجتماعية وهى اضخم الجمعيات الخيرية فى ايران

ولكن العارفين فى ايران يقولون :

ـ ان المسائل الاجتماعية بالنسبة لاشرف الجميلة الذكية ليست الا مجرد هواية ، اما عملها الاصلى فهو السياسة !

وللاميرة اشرف جماعة كبيرة من ساسة ايران منهم رؤساء وزارات ووزراء وكبراء وهى تسيرهم وتحركهم ، وان البعض يقول انهم هم الذين يحركونها ويسيرونها !

ومن راى الاميرة اشرف انه يجب على الملك ان يتخذ اجراءات حازمة وان يثبت وجوده فى الازمة والا جرفه التيار ! .. واغرقه الطوفان !

والعضو الثالث فى الاسرة : الاميرة شمس الملوك وهى الشقيقة الثانية للشاه .. والاميرة شمس تحاول جهدها ان تبتعد عن السياسة ولكن رايها الذى تلقيه لشقيقها دائما هو ان ينحنى مع الريح وان يدور مع الدوامات وان يحمى راسه من العواصف

ثم باقى افراد اسرة الملك ... شقيقته الثالثة فاطمة التى تزوجت من الشاب الامريكى هيلر واشقاؤه الشبان الاربعة . ان كلا منهم يعيش فى واد بعيد

فاطمة مشغولة بحبها لهيلر ، وقد جر هذا الغرام على شقيقها متاعب الدنيا والآخرة فى بلد اسلامى متعصب !

وعبدالرضا الذى عينه شقيقه مديرا لمشروعات السنوات السبع لم يدخل مقر ادارة المشروع الا مرة واحدة منذ ثلاث سنوات

وعلى رضا وغلام رضا يعيشان لشأنهما ويتركان لشقيقهما الاكبر محمد رضا بهلوى متاعب الملك وشئون

أهم الأخبار

تقرأها في

الأهرام

كل يوم جمعة
وكل يوم اربعاء



ferrania
Roll Film
الوكلاء :
هـ. فصيبيان وشركاه



محلات
محمد حوري
تعلن
افتتاح
صالة
العرض
بعمارة آل طالب
لبيع :
ثلاجات نورج المشهورة
NORGE
وأجهزة راديو زينيت الامريكية
وستروم السويدية
ZENITH
والآلة لكاتبة العالمية
UNDERWOOD
أندروود
العربية والافرنكية

كتاب اليوم
صاحباه
مصطفى امين وعلى امين
رئيس التحرير
عبد العزيز عبد العليم
كتاب شهرى

يصدر عن
دار اخبار اليوم
الإدارة والتحرير
والإعلانات والتوزيع
شارع الصحافة
المراسلات :
صندوق بوستة رقم ١٠
تليفون ٧٧٧٧٧
عشرة خطوط

الاشتراكات

فى مصر والسودان ١٠٠ قرش بريد عادى و ١٢٠ قرشا بريد مستعجل – فى البلاد العربية والبلاد الداخلة فى اتفاقية البريد ٢٥٠ قرشا بالبريد الجوى او ٣ جنيهات استرلينى وواحد شلن و ٦/١٠ بنس – فى البلاد الخارجة عن اتفاقية البريد ٤٥٠ او ٢٥ دولارا بالبريد الجوى

مطابع دار أخبار اليوم